في كل رواية لذة دائمة

سلسلة روايات

ملف المستقبل

سرى جداً!!

(٣)

روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

مدينة الأعماق

بقلم

د. نبيل فاروق رمضان

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ـ الحوَّامة الجوّ برمائية ..

تألَّق سطح البحر ببريق جذَّاب مع سقوط أشعة الشمس ، وهبَّ النسيم لطيفًا ينعش النفس برائحة البحر الزكيَّة ، ومدَّت فتاة يدها تداعب الماء بِرِقَّة ، ثم التفتت إلى الشاب الجالس بجوارها ، وقالت بصوت حالم :

ـ كم أعشق البحر !! وكم تفتننى أمواجه !!

ابتسم الشاب وهو مشغول بإعداد شبكته الكهربائية :

ـ أمَّا أنا فأشعر بخوف مبهم منه ..

قطَّبت الفتاة حاجبيها ، وقالت بلهجة يبدو فيها الاستياء :

ـ يا لك من سخيف !! أحدثك عن شغفى بالبحر ومفاتنه ، فتحدثنى عن خوفك منه .

ضحك الشاب وقال :



التفت الفتاة تتطلع إلى سطح الماء ، حيث برز
وجهان يرتدى كل منهما قناعا بلوريًا سميكًا ..

ـ هكذا أنتن يا فتيات ، تغضبكن الحقائق .

اعتدلت الفتاة جالسة ، وقالت وهى تومئ إليه بإصبعها علامة التهديد :

ـ لولا أننى أخشى أن أعكّر صفو رحلتنا ؛ لأذقتك ما تستطيعه الفتيات .

ضحك الشاب بمرح ، وقال وهو يشير إلى بضع فقاعات هوائية أخذت تبدو على السطح :

ـ مهلًا .. فقد عاد (نور) و (رمزى) ، ولا أود أن تعاقبينى أمامهما .

التفتت الفتاة تتطلّع إلى سطح الماء ، حيث برز وجهان يرتدى كل منهما قناعًا بلّوريًا سميكًا ، وابتسمت الفتاة عندما رفع أحدهما قناعه وسألته :

ـ تُرَى هل سنتناول غداءنا من السمك اليوم أو سيكون مصيرنا كأمس ؟

ضحك الشاب الذى رفع قناعه وقال :

ـ بل ستتناولين غداءً شهيًا .

وصعِد الغطّاسان إلى سطح المركبة ، والتفت أحدهما إلى الشاب الذى يعد شبكته ، وقال :

ــ أما زلت تخشى البحر يا عزيزى (محمود) ؟

ابتسم الشاب وقال وهو يلقى بشبكته فى الماء :

ــ نعم .. ما تحليلك يا طبيبنا النفسى ؟

ابتسم (رمزى) ، وقال وهو يكتم ضحكة خبيثة :

ــ ربما كانوا يجبرونك على الاستحمام فى طفولتك .

انفجر الجميع ضاحكين ، ثم انهمكوا سويًا فى إعداد السمك الذى صاده (نور) و (رمزى) .

لم يكن هؤلاء الشبان الأربعة سوى النقيب (نور) ضابط المخابرات العلمية الشاب ورفاقه . (رمزى) الطبيب النفسى ، و (محمود) مهندس الأشعة ، و (سلوى) خبيرة الاتصالات والتتبع .. وسرعان ما وضعوا السمك بعد تنظيفه فى الفرن الإليكترونى وقالت (سلوى) :

ــ كم أود أن أقدم الشكر للرجل الذى قام باختراع

هذا الفرن ، الذى يعمل بالأشعة تحت الحمراء !! كنت سأقضى نصف اليوم فى إعداد هذا السمك .. أما بمساعدة الأشعة تحت الحمراء فسينتهى الأمر فى دقيقة واحدة ، بصورة أفضل ممّا قبل .

ضحك (محمود) ، وقال :

ــ ليتهم يخترعون وسيلة لاصطياد السمك بنفس سرعة إعدادها .

قال (نور) وهو يشير إلى الشبكة الكهربائية التى يمسك بها (محمود) :

ــ وهذه الشبكة التى تمسك بها ، أليست من الاختراعات الحديثة فى فن الصيد ؟ إنها تطلق شحنة كهربائية بسيطة تجذب السمك الكبير ، وما أن تصبح السمكة المسكينة بداخل الشبكة حتى تزداد الشحنة فتصعقها ، لتصبح طعامًا لك أيها الشَرِه .

قال (رمزى) مداعبًا :

— لا بد أنهم كانوا يمنعونه من أكل السمك فى طفولته .

ثم مال برأسه ضاحكًا ليتفادى السمكة التى قذفه بها (محمود) ، وسمع الجميع صوت (سلوى) تصيح ، وهى تشير إلى نقطة بعيدة على سطح البحر :

— انظروا هذه الطائرة .

التفت الجميع إلى حيث أشارت (سلوى) ، وقال (نور) :

— إنها ليست طائرة ، إنها حوَّامة جوّ برمائية ، وأعتقد أنها تابعة لخفر السواحل .

قال (رمزى) وهو يتأمل الحوَّامة ، التى تنزلق بنعومة على وسادة هوائية فوق سطح البحر ، تكاد ترتفع ما يقرب من المتر عنه :

— بالرغم من قِدَم استخدام هذه الحوَّامات ، إلا أننى ما زلت أشعر بالإعجاب كلما رأيت إحداها .

قال (نور) وهو يراقب الحوَّامة التى تقترب بسرعة :

— لقد بدأ استخدامها منذ عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين بصورة تجريبية ، ولم يتم استخدامها على نطاق واسع إلا منذ سنوات قليلة ، وهى تعتمد على فكرة بسيطة ، وهى دفع الهواء إلى أسفل كالمروحة ، حيث تنشأ وسادة هوائية أسفلها ، فلا تلمس السطح الذى تندفع فوقه ؛ ولذلك فهى لا تتأثر بالموانع أو العقبات المتوسطة كالصخور أو الأمواج .. كما أن سرعتها تزداد بسبب عدم تأثرها بالمقاومات المختلفة ، كمقاومة الماء أو الوزن ، ويطلق عليها العلماء اسم الـ (هوفركرافت) .

وتوقف عن الشرح عندما توقفت الحوَّامة بجوار زورقهم ، وقفز منها ضابط برتبة ملازم أول ، وقال وهو ينقِّل نظره بينهم :

— عندى رسالة سرِّية وعاجلة للنقيب (نور الدين محمود) .

توجَّه إليه (نور) قائلًا :

ـ هأنذا .. هات ما عندك .

أدّى الملازم التحيّة العسكرية لـ (نور) ، الذى لم يكن يرتدى سوى لباس البحر ، ثم مدّ يده إليه بمكعب بلّورىّ شفافٍ بأسفله قرص معدنى أحمر ، وقال :

ـ آسف لتعكير صفو إجازتك يا سيّدى ، ولكنها الأوامر .. هذه الرسالة سرّية للغاية وعاجلة ، وكان لا بد من تسليمك إيّاها اليوم .

قال (نور) وهو يقلّب المكعب البلّورى بين يديه :

ـ لا عليك ، هل من رسائل أخرى ؟

قال الملازم :

ـ هذه فقط يا سيّدى . هل تسمح لى بالانصراف ؟

أدّى الملازم التحية العسكرية عندما أومأ له (نور) برأسه علامة الموافقة ، ثم قفز إلى الحوّامة التى ارتفعت فوق سطح الماء بهدوء ، وانطلقت بسرعة إلى حيث جاءت .. والتفت (نور) إلى رفاقه الثلاثة ، وقال بلهجة اعتذار :

ـ عذرًا يا رفاق ، فهذه الرسالة كما سمعتم سرّية للغاية .. سأهبط وحدى إلى غرفة الاطلاع .

أومأ إليه الثلاثة برءوسهم علامة الموافقة ، فاتجه بهدوء إلى الغرفة ، وقال قبل أن يلجها :

ـ أعتقد أن الغذاء قد نضج يا (سلوى) .

أسرعت (سلوى) إلى الفرن الإليكترونى ، وأغلق (نور) الباب خلفه ، ثم اتجه إلى جهاز تليفزيونى فى ركن الغرفة ، ثم ثبت إليه المكعب البلّورى ، وضغط على الزرّ المعدنى الأحمر .

وسرعان ما تجسّدت صورة مجسّمة للقائد الأعلى أمام جهاز التليفزيون .. كانت الصورة ذات ثلاثة أبعاد وبالحجم الطبيعى ، حتى أن (نور) اعتدل فى وقفته وكأنه أمام القائد الأعلى شخصيًا ، واستمع له يقول :

ـ مرحبًا أيها النقيب (نور) .. أعلم أننى أقطع إجازتك بالمهمة التى سأسندها إليك ، وهذه هى ضريبة التفرّق .. وعلى كل فالمهمة لن تبعدك عن البحر ، بل

ستجعلك أقرب إليه مما أنت الآن .

وتبدلت الصورة ، وظهرت بدلًا منها صورة قبة زجاجية ، بأسفلها ما يشبه المدينة بشوارعها ومبانيها ، ولكن الغريب فى هذا المشهد أن الماء كان يحيط بهذه القبة من كل جانب ، كما أن السمك كان يسبح حولها بحرية ، وكانت الصورة المجسمة من الوضوح ، حتى أن (نور) تحرك لأول وهلة وكأنه يحاول منع الماء من الانسكاب فوق أرض الغرفة .. وجاءه صوت القائد الأعلى من خلف المشهد يقول :

ــ هل ترى هذه الصورة أيها النقيب ؟.. إنها صورة لأول مدينة تحت سطح البحر ، وهى مدينة لأبحاث الثروة السمكية والتعدين ، كما أن بعض التجارب تجرى بها الآن لمحاولة زرع المحصولات الزراعية فى قاع البحر المتوسط .. وهذه المدينة ذات مدخل واحد فقط ، وهى مجهزة بالآلات الحديثة التى توفر لها الأكسوجين اللازم للحياة ، وهى فى هذا تشبه المدينة

المقامة على سطح القمر .. المهم أن العلماء الذين يعيشون بداخل هذه المدينة ، قد نجحوا فى اختراع جهاز حديث ، يستطيع استخلاص الذهب من ماء البحر بكميات كبيرة ، وبتكلفة ضئيلة لا تكاد تذكر .. أنت تعلم بالطبع أن استخلاص الذهب من ماء البحر قديم جدًا ، ولكن العقبة التى كانت تحول بين العلماء وبينه ، هى أن تكاليف استخراج هذا الذهب تفوق دائمًا ثمن الذهب نفسه ، مما جعل هذا الأسلوب غير مُجْدٍ ، ولكن هذا لم يمنع من المحاولة للإقلال من هذه التكاليف .. ولأول مرة ينجح العلماء فى ذلك ، وبأرخص التكاليف .. المهم أنه برغم احتياطات الأمن البالغة داخل المدينة ، وبالرغم من أن كل من يصلها أو يغادرها يتم تفتيشه بدقة ، إلا أن هذا الجهاز قد اختفى .

رفع (نور) حاجبيه مندهشًا ، عندما استطرد القائد الأعلى فى رسالته المجسمة :

ـ وهذا الجهاز يزن حوالى مائة كيلوجرام ، أى أنه من الصعب مجرَّد حمله ، ولقد تم تفتيش كل سنتيمتر بالقاعدة ، كما تم تفتيش جميع العاملين .. ولقد وصل الأمر إلى استخدام الأشعة السينية المعدَّلة ، وبالرغم من ذلك لم يسفر التفتيش عن أى نتيجة .

صمت القائد الأعلى قليلًا ثم عاد يقول :

ـ سيقابلكم فى القاعدة الرائد (يحيى توفيق) ، المسئول عن الأمن هناك ، وهو متعجرف قليلًا ، ولذا أرجو أن تتعاونوا معًا بصدق للوصول إلى حل هذا اللُّغز .. ستقلكم ـ غدًا فى الفجر ـ غواصة نووية ، خاصة بالأبحاث العلمية لقاع البحار ، من ميناء الإسكندرية إلى مدينة الأعماق .. فليستعد رفاقك الثلاثة لذلك .

اختفت صورة القائد الأعلى ، وظل (نور) صامتًا فترة وهو يفكِّر :

ـ تُرى هل سيقبل (محمود) الهبوط إلى قاع البحر

المتوسط ؟ .. تُرَى هل سيغلب على خوفه الغامض من البحر ؟ . لقد كانت صيغة الجمع التى خاطبه بها القائد الأعلى ، عندما أمره بالتوجه إلى مدينة الأعماق ، تعنى موافقته بل رغبته فى حضور رفاق الثلاثة .

ثم قام واقفًا وانتزع المكعب البلّورى من جهاز التليفزيون ، ثم أدار القرص المعدنى الأحمر دورة كاملة ، وانتزعه من المكعب الشفاف ، الذى تحوَّل فى الحال إلى اللون الأزرق الباهت ، وألقاه (نور) بجوار باب الغرفة ، ثم خرج إلى رفاقه .

كان الفضول الشديد يبدو واضحًا على وجه (سلوى) ، التى حاولت كتمان ذلك بتظاهرها بالانشغال فى إعداد المائدة ، وقد ظل (محمود) و (رمزى) صامتين .. جلس (نور) وسط الثلاثة هادئًا ، ثم قال :

ـ أعتقد أن الإجازة قد انتهت يا رفاق .. علينا أن

نعود الآن إلى الإسكندرية ، لإعداد ما نحتاج إليه فى مهمتنا .

أطلق (رمزى) صفيرًا ، وتنهدت (سلوى) وقالت :

ـ كان يجب أن أتوقع ذلك .. من المستحيل أن أحصل على إجازة هادئة ، ما دمت بصحبة النقيب (نور) .

ابتسم (نور) وقال :

ـ لن نبتعد كثيرًا عن البحر ، فمهمتنا القادمة فى أعماقه .

التفت (رمزى) إلى (محمود) بسرعة فوجده صامتًا ، وإن علت وجهه صفرة غريبة .

* * *

٢ ـ فى أعماق البحر ..

هبطت غواصة الأبحاث النووية الصغيرة إلى أعماق البحر المتوسط بانسياب وسرعة ، وبداخلها جلس أربعة أشخاص غير قائدها .. كان أحدهم وهو (محمود) يقبع فى ركن جانبى صامتًا ، فنظر إليه (رمزى) يتأمله ، ثم التفت إلى (نور) قائلًا :

ـ يبدو أن (محمود) يعانى عقدة قديمة ، تجعله يرهب البحر إلى هذه الدرجة .

قالت (سلوى) وهى تتأمَّل (محمود) بحنان :

ـ لقد كان يخشى الغوص معكما لاصطياد السمك ، لا بد أنه شجاع جدًّا ، حتى يقبل الغوص معنا إلى مدينة الأعماق .

قال (نور) دون أن يلتفت إلى (محمود) :

ـ ربما كان لهذه الرحلة نتائج إيجابية ، تساعده على التغلب على هذا الخوف العجيب .

ابتسم (رمزى) وهو يهمس فى أذن (نور) :

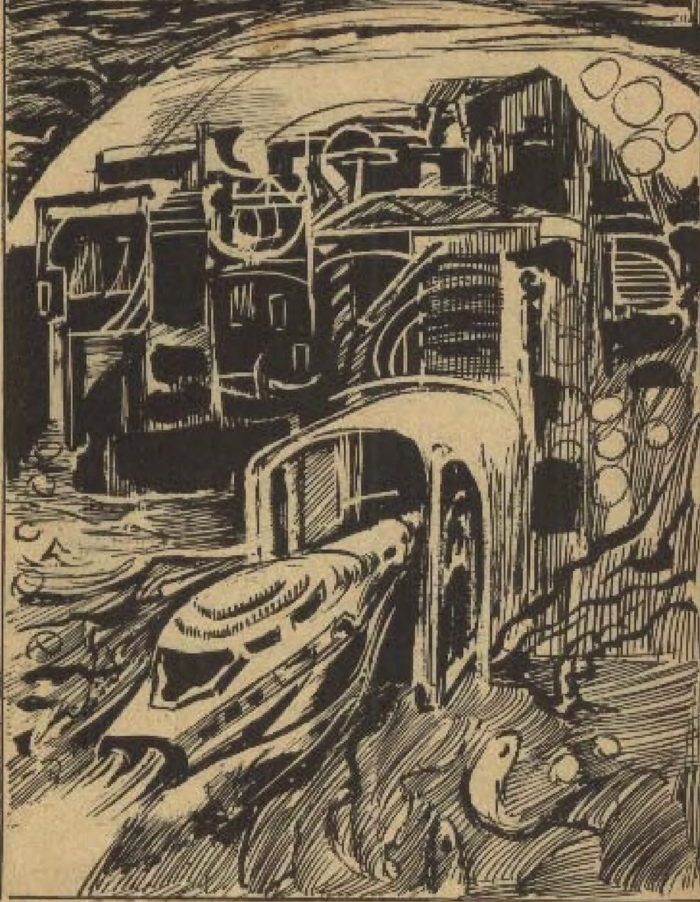
ــ أخشى أن يعود من هذه الرحلة وهو أكثر خوفًا من البحر .

لم يشاركه (نور) دعابته ، بل أشار إلى نقطة بعيدة من خلال زجاج الغواصة السميك وقال :

ــ ها قد وصلنا .

التفت (رمزى) إلى النافذة المجاورة ، وكذلك فعلت (سلوى) ، على حين لم يغادر (محمود) الركن الذى يجلس فيه .. كان المشهد رائعًا ، أكثر روعة من الصورة المجسَّمة التى رآها (نور) ، كانت المدينة أكثر ضخامة ممَّا تصوَّرها ، وكانت القبَّة الزجاجية تغطيها كلها ، وتبرق أجزاء منها مع الضوء القليل من أشعة الشمس ، التى تتسرب إلى هذا العمق .. اقتربت الغواصة النووية من المدخل الوحيد لمدينة الأعماق ، وهو أنبوب زجاجى ضخم يغلقه بابان من الصلب .

واستقرَّت الغواصة الصغيرة بداخل الأنبوب



اقتربت الغواصة النووية من المدخل الوحيد لمدينة الأعماق ..

الزجاجى ، ثم أغلق الباب الحديدى الضخم من خلفها .. وسرعان ما تسرب الماء خارجًا حتى صار الأنبوب الزجاجى جافًا ، ثم زحفت سجادة طويلة إلى أمام الغواصة بالضبط .. وهنا فتح قائد الغواصة بابها ، وهبط منها وخلفه النقيب (نور) ورفاقه ، وسار الجميع فوق البساط إلى أن وصلوا إلى الباب المعدنى الآخر ، وسرعان ما فتح ليجدوا أنفسهم فى غرفة التفتيش .

كان (نور) شغوفًا بمعرفة كيف يتم التفتيش فى هذه الغرفة ، لعله يجد ثغرة يستطيع سارق الجهاز استغلالها لتهريبه .. ولكن ما أن انتهى التفتيش حتى شعر (نور) أنه لا يستطيع تهريب ذبابة إلى خارج المدينة أو داخلها ، وزاد هذا من عجبه وتساؤله عن اختفاء هذا الجهاز .

وما أن غادر الجميع غرفة التفتيش ، حتى وجدوا أمامهم الدكتور (فتحى خير الله) مدير مدينة

الأعماق ، الذى استقبلهم بودٍّ قائلًا :

ـــ مرحبًا بالأبطال .. لقد أخبرنى القائد الأعلى أنكم خير من يقوم بحل هذا اللغز .

تأملت (سلوى) الدكتور (فتحى) ، سائلة نفسها :

ـــ هل هذا الجسد الضخم والعضلات المفتولة لعالم ؟ كيف ومتى استطاع تنميتها ؟

وأجابه (نور) بعبارة مجاملة ، ثم التفت إلى الرجل النحيل الواقف بجوار الدكتور (فتحى) ، والذى ظل مقطبًا حاجبيه منذ ترحيب الدكتور (فتحى) بـ (نور) ورفاقه .. ولاحظ الدكتور النظرات المتبادلة بين (نور) والرجل النحيل فربّت على كتف هذا الأخير ، وقال يقدمه إلى (نور) :

ـــ الرائد (يحيى توفيق) مسئول الأمن فى المدينة .

قال (نور) بود :

ـــ مرحبًا يا سيدى ، سعدت بلقائك .

أجاب الرجل ببرود :

ـــ مرحبًا . .

لم ينطق بكلمة أخرى حتى قاد الرفاق إلى غرفهم ، وانصرف .. وما هي إلا ساعة حتى اجتمع الرفاق فى غرفة الدكتور (فتحى) وسأله (نور) :

ـــ ألم تشتبه فى أحد العاملين هنا يا سيدى ؟

صمت الدكتور (فتحى) مفكرًا ثم قال :

ـــ من الصعب الشك فى أحدهم ، ثم إن ما يشغلنى حقًا ، هو كيف يمكن لجهاز يزن مائة كيلوجرام أن يختفى هكذا بلا أثر . فالخروج من هنا كما رأيت بنفسك من الصعوبة ، حتى ان أحدا لا يستطيع تهريب بعوضة خارج مدينة الأعماق .

أومأ (نور) برأسه موافقًا وقال :

ـــ لقد لمست هذا بنفسى ، ولكن كيف يحصل العاملون هنا على إجازاتهم ؟

قال الدكتور (فتحى) :

ـــ إنهم يقضون هنا شهرا كاملا ، ثم يحصلون على إجازة لمدة خمسة عشر يومًا ، ويتم تفتيشهم بدقة عند مغادرتهم مدينة الأعماق .

سأله (نور) :

ـــ هل تشك فى أحد العلماء هنا ؟

صاح الدكتور (فتحى) مستنكرًا :

ـــ لا .. لا .. مستحيل !!

وهنا سأله (محمود) :

ـــ أين كان الجهاز يا سيدى قبل اختفائه ؟

قال الدكتور (فتحى) فى الحال :

ـــ فى غرفة الاختبار فى الطابق السفلى من المدينة .

تأهب (نور) للقيام وهو يقول :

ـــ ترى هل يسمح وقتك بمرافقتى إليها يا سيدى ؟

أومأ الدكتور (فتحى) برأسه موافقا ، ثم ابتسم لـ (سلوى) و (محمود) و (رمزى) ، وغادر الغرفة بصحبة النقيب (نور) ، وتوجها سويًا إلى أنبوب

زجاجى ، يقف فى وضع رأسى فى الممر الذى تقع فيه الغرفة ، ودخل إليه الدكتور (فتحى) ودعا (نور) للدخول .. وما أن أغلق عليهما باب الأنبوب الزجاجى حتى رفع الدكتور (فتحى) رأسه وقال :

— إلى أسفل من فضلك .

وهبط الأنبوب الزجاجى إلى أسفل مطيعًا الأمر ، ونظر الدكتور (فتحى) إلى علامات الذهول فوق وجه (نور) ، وابتسم وهو يقول :

— هذه هى معجزات العلم الحديث يا صديقى .. فهذا المصعد الزجاجى مزوَّد بكمبيوتر معدّ لإطاعة الأوامر الصوتية ، وهو كمبيوتر بسيط جدًا ، يستقبل الموجات الصوتية ، ويقوم بتحليلها ، ثم يقارنها بالبرنامج الذى بداخله ، ثم يطيع الأمر .. فلو أنك طلبت منه الصعود إلى الطابق الثالث مثلًا ، فسيجد أن برنامجه معدّ للتوجه إلى ذلك الطابق بالذات عند استقباله لنغمة العبارة ذاتها .. وهناك أنواع متطوّرة منه لا تستجيب

إلا لنبرات شخص محدّد ، وهذا النوع يستخدم فى الخزائن الخاصة .

ثم ضحك وهو يربّت على كتف (نور) قائلًا :

— وهكذا أصبحت الأساطير حقيقة بوساطة العلم . ويمكنك الآن أن تفعل مثل (على بابا) تقول : « افتح يا سمسم » ، فتنفتح المغارة وتحصل على الكنز ، وكل هذا بالعلم وحده يا صديقى .

ثم ابتسم وهو يتأمل ملامح (نور) وقال :

— لا عليك !! هيًا ، لقد وصلنا إلى الطابق الأسفل .

وما أن خطا (نور) خارج المصعد حتى توقف ، ونظر إلى الأرض التى يقف عليها . كانت تتموّج بنعومة تحت قدميه ، وأفاق على ضحكات الدكتور (فتحى) وهو يربّت على كتفه ، ويقول :

— احتفظ بدهشتك يا صديقى ، فسوف ترى فى مدينتنا الكثير مما يثير العجب .. هذا ما يطلق عليه اسم

الشوارع المتحركة ، وهي توفر الكثير من الوقت والمجهود ، والمادة المصنوعة منها هذه الشوارع مادة جديدة تمتاز بالصلابة فى محورها الرأسى ، والمليونة فى محورها الأفقى .. حسنًا ، دعنا من كل ذلك حتى نصل إلى غرفة الاختبار .

كان الطريق يتحرك بهما إلى الأمام ، وقد أخذ الدكتور (فتحى) يشرح لـ (نور) :

ـ هذا الطابق يضم غرفة الاختبار ، بالإضافة إلى غرف التشغيل ، التى تمدنا بالأكسوجين ، وغرفة الدفاع والمراقبة ، وسنشاهد هذه الغرف معًا .

وتوقف الطريق أمام غرفة كبيرة ، وقال الدكتور (فتحى) وهو يدخلها :

ـ تقدم أيها النقيب ، فهذه هى غرفة الاختبار .

كانت الغرفة مملوءة بعدد كبير من الأجهزة العلمية المعقدة ، التى لا يدرى (نور) عن استخدامها شيئًا ، واقترب الدكتور (فتحى) من منضدة خالية وقال :

ـ هنا كان الجهاز ، وهو يشبه متوازى المستطيلات ، مكوّن من ثلاثة أجزاء مكعبة ، ولن أتعمّق فى مصطلحات علمية معقّدة .. المهم أن هذا الجهاز قد اختفى فى أثناء تواجد الجميع فى غرفة الطعام فى الطابق الذى يعلونا .

سأله (نور) باهتمام :

ـ هل يتوجّه جميع العاملين هنا إلى غرفة الطعام فى وقت واحد ؟

أجاب الدكتور (فتحى) :

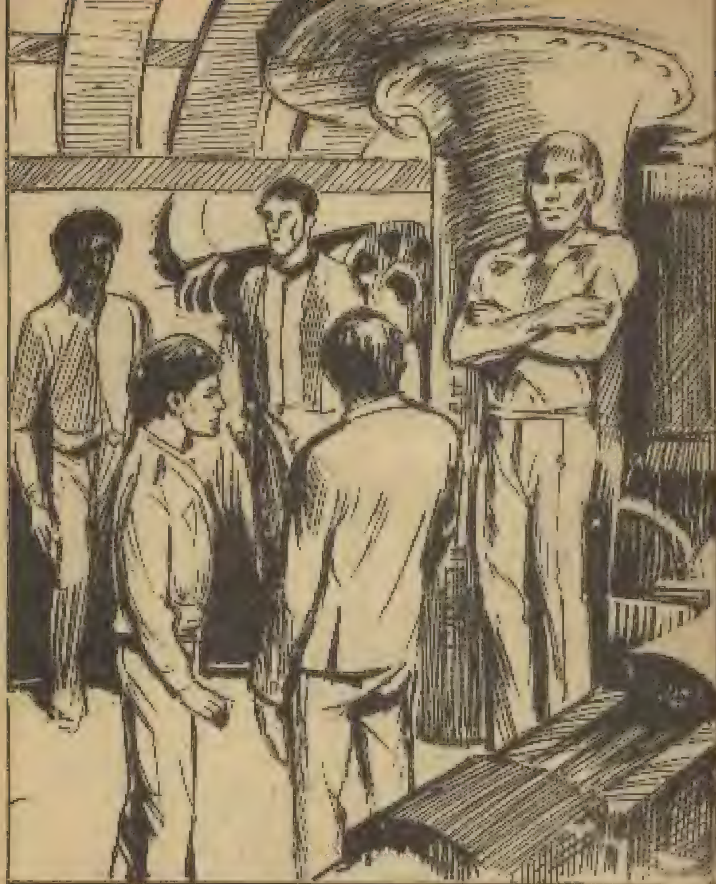
ـ بالطبع لا .. فلا بد من تواجد المسئولين عن إمداد المدينة بالأكسوجين ، وكذلك المراقبين ورجال الدفاع .

قال (نور) ساهمًا :

ـ أى أن هذا الطابق يكون دائمًا ممتلئًا بالعاملين .

قال الدكتور (فتحى) :

ـ بالطبع .



ذهب به الدكتور (فتحي) إلى غرفة التشغيل ،
وكان بها ثلاثة من العاملين ..

التفت (نور) حوله وقال :

ــ ولكن أين هم الآن ؟ لا أرى أحدًا منهم .

ابتسم الدكتور (فتحي) وقال :

ــ في مراكزهم بالطبع .. تعال ، سأقدمك لهم جميعًا .

وذهب به الدكتور (فتحي) أولًا إلى غرفة التشغيل ، وكان بداخلها ثلاثة من العاملين ، فقدمهم الدكتور إلى (نور) قائلًا :

ــ هذا (فرج) ، المسئول الأول عن إمدادنا بالهواء في مدينة الأعماق ، انظر إلى تكوينه الجسماني ، إن زملاءه يطلقون عليه اسم (هرقل) ؛ لما يمتاز به من قوة بالغة .

ابتسم (فرج) وهو يومئ برأسه ترحيبًا بـ (نور) ، الذي أخذ يتأمله بتعجُّب .. كان الرجل طويلًا ، عريضًا ، ذا عضلات مفتولة قوية ، أصلع الرأس تمامًا .. بادله (نور) الابتسام ، ثم التفت إلى

الرجل الثانى ، وكان شابًا نحيلا حاد الملامح ، وقال الدكتور (فتحى) وهو يشير إليه :

— وهذا هو (سلطان) ، وهو المسئول عن الكمبيوتر الذى ينظم عملية الإمداد ، بحيث يكون الجو داخل المدينة مشابها لمثيله فوق السطح ، باستثناء العواصف والسحب والأمطار بالطبع .

ثم أشار إلى الرجل الثالث وكان قصيرًا ممتلئًا ، وقال :

— أما صديقنا هذا فهو (خليل) ، المسئول عن معادلة الضغط داخل المدينة ، حتى لا يحطمها ضغط الماء على القبة الزجاجية الخارجية .

خرج (نور) مع الدكتور (فتحى) ، بعد أن تبادلا عبارات الترحيب مع الرجال الثلاثة ، وتوجها معًا إلى غرفة الدفاع ، وفى الطريق سأله (نور) :

— هل يعمل المدعو (فرج) هنا منذ زمن بعيد ؟

قال الدكتور (فتحى) وهو يتأمل (نور) :

— إنه يعمل هنا منذ أربعة شهور فقط . هل تشتبه فيه ؟

قال (نور) وهو يفكر :

— إننى أشتبه فى الجميع ، حتى يتضح الأمر يا سيدى .

لم يجد الدكتور (فتحى) الوقت الكافى لمناقشة ذلك ، فلقد توقف بهما الطريق أمام غرفة الدفاع ودخلاها معًا .. كان بها رجلان قابلا الدكتور (فتحى) بعبارات الترحيب الحارة ، وقدم إليهما النقيب (نور) ، ثم قال وهو يقدم له الرجل الأول ، وهو شاب متوسط الجسم والقامة :

— المهندس (مصطفى) ، المسئول عن إطلاق الطوربيدات الذرية الدفاعية ، فى حالة حدوث أى هجوم .

صافح (نور) المهندس (مصطفى) ، وسأله :

— هل من المتوقع حدوث هجوم على المدينة ؟

ابتسم المهندس (مصطفى) وقال :

ـ من المعروف أن التقدم العلمى أصبح هو مقياس رُقِىّ الأمم فى العصر الحديث ؛ ولذا فقد اتجهت الدول إلى محاولة إعاقة التقدم العلمى فى الدول المنافسة لها ؛ ولهذا لا أستبعد مطلقًا محاولة الهجوم علينا .

وهنا قال الرجل الثانى :

ـ مثلما حدث أمس الأول .

التفت إليه (نور) مندهشًا ، وضحك الدكتور (فتحى) ، وقال وهو يشير إلى الرجل الثانى :

ـ أعرفك بالمهندس (مختار) ، المسئول عن الكمبيوتر الذى ينظم عملية الدفاع عن مدينة الأعماق .

تأمل (نور) الشاب الطويل الشديد النحولة وقال معقبًا على عبارته الأخيرة :

ـ هل حدث هجوم على المدينة أمس الأول ؟

ابتسم المهندس (مصطفى) وقال :

ـ بل مجرد اشتباه فى حدوث هجوم ، وهذا يحدث كثيرًا عندما يرصد رجال المراقبة أحد الأسماك الضخمة مثلًا ، التى تعطى صورة مشابهة للغواصات النووية الحديثة . وفى هذه الحالة نتعامل معها فى الحال ، وكأنها هجوم حقيقى حتى يتبيَّن العكس .

قال (نور) :

ـ ألا يكلفك هذا كثيرًا ؟

هزَّ المهندس (مختار) كتفيه بلا مبالاة وقال :

ـ أبدًا .. وكثيرًا ما تسقط الطوربيدات بدون أن تنفجر ، وبالرغم من ذلك فلا بد من التعامل هكذا ، وإلا هاجمتنا غواصات نووية فى شكل سمك ضخم .

هزَّ (نور) رأسه علامة الفهم ، وصافح الرجلين ، وغادر الغرفة بصحبة الدكتور (فتحى) إلى غرفة المراقبة ، وهناك قابلا اثنين من العاملين ، وقال الدكتور (فتحى) يقدمهما :

ـ المهندس (أنور) خبير المراقبة فى المدينة .

صافحه (نور) وهو يتامله .. كان شابًا ضخم الجثة ، عريض المنكبين ، وسأله (نور) :

ـ هل كنت تمارس نوعًا من أنواع الرياضة فى أثناء دراستك ؟

ابتسم المهندس (أنور) بفخر قائلاً :

ـ بالطبع .. حمل الأثقال ، أو بالأصح رفع الأثقال .

ظل (نور) يتأمله حتى قال الدكتور (فتحى) مشيرًا إلى شاب آخر وسيم :

ـ أما هذا فهو المهندس (عبد المنعم) ، خير من يعمل على الرادار ذى الأشعة فوق البنفسجية فى مصر كلها .

صافحه (نور) وقابله هذا بترحاب بالغ ، وسرعان ما غادرا الغرفة ، واتجه (نور) مع الدكتور (فتحى) إلى غرفته . وفى الطريق تنهد (نور) بصوت مسموع ، فسأله الدكتور :

ـ ماذا بك ؟

أجاب (نور) وهو شارد الذهن :

ـ أشعر أن الأمر معقد جدًا ، وسأحتاج إلى إجراء عدة تحريات وحدى .

ابتسم الدكتور (فتحى) وقال :

ـ لك ذلك ، ولكن ابتعد عن الرائد (يحيى) . فلن يسمح لكم بالوصول إلى السرّ قبله .

قال (نور) وهو ما زال شاردًا :

ـ المهم هو الوصول إلى السرّ ، وليس المهم من يصل إليه أولاً .

تأمله الدكتور (فتحى) بإعجاب ، ثم سار بجواره صامتين .

* * *

٣ ــ المنافسة ..

اجتمع النقيب (نور) برفاقه الثلاثة فى غرفتهم ، التى اختارها الدكتور (فتحى) لاجتماعاتهم الخاصة ، وأخذ (نور) يشرح للثلاثة نتائج الجولة التى قام بها بصحبة الدكتور (فتحى) فى الطابق الأسفل من المدينة .. وما أن انتهى من الشرح حتى تنهَّدت (سلوى) وقالت :

ــ الأمر معقَّد هذه المرة ، لدينا عدد وفير من المشتبه فيهم ، لقد كدت أنسى الأسماء .

أصغى إليها (نور) ، ثم التفت إلى (رمزى) وسأله :

ــ ما رأى طبيبنا النفسى ؟

قال (رمزى) وهو يضم كفَّيه أسفل ذقنه :

ــ من الصعب أن أكوِّن فكرة واضحة من هذه الجولة أيها القائد ، فلا بد لى أن أدرس الحالة النفسية

للجميع أولًا ، ولكننى أستطيع أن أقول : إن الرجل الذى قام بهذا العمل ، أو الرجال الذين قاموا به ، يمتازون بالجرأة والذكاء ، إلى جوار القوّة العضلية الكافية لنقل جهاز بهذا الوزن .

وهنا قاطعه (محمود) قائلًا :

ــ يمكن أن يتعاون اثنان على حمله ثم ....

قاطعه (نور) باهتمام :

ــ ثم ماذا ؟

صمت (محمود) مفكرًا ثم قال :

ــ فى الواقع لست أدرى ماذا يمكن أن يفعله السارق بعد ذلك .

قالت (سلوى) :

ــ تقول إنك عندما كنت بداخل غرفة الاختبار مع الدكتور (فتحى) ، لم تر أحدًا من العاملين بالطابق الأسفل .. هل يعنى هذا أن أحدًا منهم لم يكن ليراك ، لو حملت معك جهازًا آخر وغادرت به الغرفة ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـــ أحسنت يا (سلوى) .. بالطبع يمكن لأى من الرجال التسلل إلى غرفة الاختبار وحمل الجهاز ، بدون أن يشعر به الباقون .

وقبل أن يستمر الحوار استمع الجميع الى أزيز خاص ، فقام (محمود) واتجه إلى الباب ، وضغط زرًّا صغيرًا ، فظهرت صورة الشخص الواقف خلفه ..

التفت (محمود) إلى رفاقه وقال باسمًا :

ـــ إنه الرائد (يحيى) ، هل أسمح له بالدخول ؟

أجاب (نور) فى الحال وبجدية :

ـــ بالطبع .

ولج الرائد (يحيى) إلى داخل الغرفة بخطوات بطيئة ، وألقى التحية إلى النقيب (نور) وزملائه ، ثم جلس إلى مقعد بجوار الباب ، وقال بلهجة ساخرة :

ـــ أهذا الاجتماع سرّى ؟ أم أن لى الحق فى الجلوس ؟

قال (نور) بجدية ، متجاهلًا رنّة السخرية فى صوت (يحيى) :

ـــ بالطبع لك الحق فى الجلوس ، ينبغى أن نتعاون سويًّا لحل هذا اللغز .

ابتسم الرائد (يحيى) بسخرية ، وقال :

ـــ هكذا !! ..

تجاهل (نور) للمرة الثانية هذا الأسلوب الساخر ، وقال :

ـــ سأعيد ما كنا نتحدث فيه ، حتى نستطيع الاستمرار معًا .

وأخذ (نور) يعيد شرح الجولة والحوار الذى دار خلالهما .. وما أن انتهى حتى سأله (يحيى) :

ـــ إذن ، فلقد حصرت شبهاتك فى هؤلاء السبعة .

أومأ (نور) برأسه موافقا . فابتسم (يحيى) ساخرًا ، وقال :

ـــ لقد أمرنى القائد الأعلى للمخابرات العلمية بالتعاون معك ، وإلا ما أخبرتك بما أعلم .

التفت إليه الجميع بتقرُّب ، فقال :

ـــ لك أن تضيف إلى قائمة المشتبه فيهم الدكتور (فتحى) شخصيًا .

تبادل الجميع نظرات الدهشة ، وساد الصمت إلى أن قطعه (نور) موجهًا حديثه إلى (يحيى) :

ـــ وما الذى دفعك إلى إضافته إلى قائمتك ؟

ابتسم الرائد (يحيى) بتكبُّر وقال :

ـــ لأن المرة الأولى والوحيدة التى تخلف فيها الدكتور (فتحى) عن تناول الغداء فى صالة الطعام ، كانت فى ذلك اليوم الذى اختفى فيه الجهاز .

كان المبرِّر قويًا ، حتى أن الجميع عادوا إلى الصمت ، وتبادل النظرات ، فقام الرائد (يحيى) واقفًا ، وقال وهو يستعد لمغادرة الغرفة :

ـــ من المحال أن أنافس هواة .. هيًا ، ها قد أهديتكم معلومة هامة ، ولنَرَ من منا سيصل إلى الحل أولًا .

ثم غادر الغرفة وهو يقهقه ضاحكًا .. وما أن أغلق

البـاب خلفـه حتى قالت (سلوى) وعلى وجههـا علامات الامتعاض :

ـــ يا له من رجل !!

قال (رمزى) بهدوء :

ـــ بل إن ما يفعله الرائد (يحيى) منطقىّ جدًّا لو ناقشناه من الناحية النفسية ، فهو مسئول عن الأمن فى مدينة الأعماق منذ إنشائها ، ومن المؤلم نفسيًا له أن يعجز عن حل أول لغز يواجهه .. ثم إن إرسال نقيب أقل رتبة منه ومعه فريق مدنى ، للبحث عن حل هذا اللغز ، يمنحه شعورًا بالظلم .. وأعتقد أنه سيحاول جاهدًا الوصول إلى حل اللغز قبل أن نفعل نحن .

قال (نور) بعد برهة من التفكير :

ـــ أخشى أن توقعه السرعة فى الخطأ .

قال (رمزى) :

ـــ هذا ما يحدث عادة ، ومن الأفضل ألا نحاول

الانقياد إلى المنافسة التى يدفعنا إليها الرائد (يحيى) ، بل سنسير كما اعتدنا .

قال (نور) مبتسمًا :

ـــ يسعدنى أن أسمع ذلك .. علينا يا رفاق بالتحدث مع كل من نستطيع من أفراد القاعدة ، أريد أن أتحقق من قصة الدكتور (فتحى) هذه .. هل حقًّا لم يحضر لتناول الغداء فى هذا اليوم بالذات ؟ ولماذا ؟ أما أنت يا عزيزى (رمزى) ، فستقوم بتعرُّف الرجال السبعة فى الطابق الأسفل ، وعليك محاولة دراستهم نفسيًّا ، وسنتقابل بعد الغداء ليخبرنى كل منكم عما فعل .

انصرف (رمزى) وتبعته (سلوى) ، وبقى (محمود) وحيدًا مع (نور) ، وأحس (نور) بتردده فسأله :

ـــ أعتقد أنك تريد مخاطبتى فى أمر ما يا عزيزى (محمود) .

تردَّد (محمود) قليلًا ، ثم قال :

ـــ نعم ، أريد أن أقول : إن .. إن ....

قال (نور) بهدوء :

ـــ حسنًا ، تحدَّث يا (محمود) .. لا داعى للتردُّد .

ابتلع (محمود) ريقه ، وقال :

ـــ حسنًا ، أنا خبير بالأشعة ، وأعتقد أنه ليس لى مكان فى هذا اللغز .. وأننى كما تعلم أشعر بالاضطراب من وجودى فى هذه المدينة تحت سطح البحر .. هل .. هل ....

قال (نور) :

ـــ هل أسمح لك بالعودة ؟ أليس كذلك ؟ لا يا عزيزى (محمود) ، ستبقى هنا لتحاول التغلُّب على هذا الخوف الغامض . لا بد أن تحاول ذلك .

تنهَّد (محمود) وقال باستسلام :

ـــ أمرك أيها القائد .. سأبقى ، وسأحاول .

* * *

٤ — البحث ..

هبط (رمزى) بواسطة الأنبوب الزجاجى إلى الطابق الأسفل ، ولم تدهشه الشوارع المتحركة ، فقد كان (نور) يشرحها بوضوح .. كان الممر الذى يحتوى على الغرف الأربع خاليا ، وقفزت فكرة إلى رأس (رمزى) ، فتوقف عند حجرة الاختبار ، وتسلل إلى داخلها بهدوء ، ثم أخذ يتأمل الأجهزة المتعددة المتراصة فى أرجاء الحجرة ، ثم وقع اختياره على جهاز أسطوانى ، فاقترب منه بهدوء ، ثم حاول حمله بصعوبة .. تصبب العرق على وجهه ، وهو يبذل المحاولة تلو الأخرى لحمل الجهاز ، وباءت محاولاته كلها بالفشل ، فقد كان الجهاز يزن ما يقرب من ثمانين كيلوجراما ، والتفت يبحث عمن يساعده فى حمل الجهاز ، عندما وقعت عيناه على جسد ضخم يسد مدخل الغرفة .. كان (فرج) يقف بعضلاته المفتولة وجسده العريض ، وقد

ضم ساعديه يتأمل (رمزى) الذى وقف مبهوتا ، ثم أخذ يجفف العرق المتصبب على وجهه ، وقال بتلعثم :

— كنت ، كنت أجرى تجربة ، أعنى أننى ....

قال (فرج) بهدوء :

— أعتقد أنك ضمن الفريق الذى يحقق فى أمر الجهاز المختفى .

أجاب (رمزى) وهو يتنهد بارتياح :

— آه .. نعم .. نعم .

دخل (فرج) إلى الحجرة ، وقال بهدوء دون أن يلتفت إلى (رمزى) :

— هل تحتاج إلى المعاونة فى حمل هذا الجهاز ؟

وقبل أن يجيبه (رمزى) كان (فرج) يحمل الجهاز الثقيل ببساطة ، وكأنه يحمل دجاجة ..

اتسعت عينا (رمزى) دهشة وهو يرى عضلات (فرج) المنتفخة ، وسأله هذا بهدوء :

— أين تود أن أضعه لك يا سيدى ؟



وقبل أن يجيبه (رمزى) ، كان فرج يحمل الجهاز
الثقيل ببساطة ، وكأنه يحمل دجاجة ..

قال (رمزى) وهو يتأمله وقد زالت دهشته :

ــ هل من عادتك أن تعاون أى إنسان فى حمل أى جهاز من هنا ، بدون معرفة الغرض من ذلك ؟

أجاب (فرج) بابتسامة خبيثة :

ــ لا ، ولكننى رأيت أن أساعدك فى هذه التجربة .. أنت بالطبع تحاول معرفة كيفية اختفاء الجهاز ، وهأنذا أريك أن حمل جهاز يزن مائة كيلوجرام ليس بالأمر العسير على من يمتلك عضلات مفتولة .

ثم أعاد الجهاز إلى مكانه وهو يقول :

ــ وهنا فى مدينة الأعماق ، ستجد مئات الرجال بعضلات مفتولة يا سيدى ..

ابتسم (رمزى) لذكاء الرجل ، وقال وهو يصافحه :

ــ يسعدنى لقاؤك ، هل يمكن لك أن تصحبنى إلى باقى الغرف ؟

قال (فرج) بابتسامة ودية :

— بكل سرور يا سيدى .

فى نفس اللحظة كانت (سلوى) تسير بجوار الدكتور (فتحى) ، وكان هذا الأخير مقطب الحاجبين ، وسار صامتا فترة ، ثم قال بغضب :

— هل بدأ قائدك محاولاته ، بأن جعلنى المشتبه به رقم (١) ؟

أجابت (سلوى) بلهجة مهذّبة :

— لم أعتقد أن سؤالى لك عن مكان وجودك فى الوقت الذى اختفى فيه الجهاز ، سوف يغضبك إلى هذه الدرجة !!

قال الدكتور (فتحى) دون أن يزايله الغضب :

— بل أغضبنى الهدف من سؤالك ، وليس السؤال نفسه .

ثم صمت مفكرًا وعاد يقول :

— حسنًا ، لقد كنت أتفقد المعامل .

سألته (سلوى) :

— ولماذا فى هذه اللحظة بالذات ؟

صاح غاضبًا :

— ولماذا فى أى لحظة أخرى ؟ ولماذا يصبح ذلك مثارًا للشك ؟

صمتت (سلوى) ولم تجب ، ثم اعتذرت له ، وغادرته إلى غرفة الطعام ، وهناك كان بضعة رجال يتناولون القهوة ، توقفوا فجأة عندما وقعت أبصارهم على (سلوى) .. ألقت (سلوى) عليهم التحيّة فأجابوها بتحيّة خافتة ، وسرعان ما نجحت فى مدّ أحبال الحديث بينها وبينهم ، وعندما شعرت باستساغتهم لوجودها سألت أحدهم :

— هل تذكر ذلك اليوم الذى اختفى فيه الجهاز ؟

أجاب الرجل ببساطة :

— بالطبع ، وهل يمكن أن ينسى ؟

عادت (سلوى) تسأله ببطء وهى تضغط على الحروف ، وكأنها تخشى ألا يستوعب سؤالها :

— هل رأيت الدكتور (فتحى) على مائدة الطعام فى تلك الليلة ؟

قطّب الرجل حاجبيه وقال بلهجة غاضبة :

— ماذا يعنى هذا السؤال ؟

قالت (سلوى) وهى تضع على شفتيها ابتسامة ودّية :

— ليس من المفروض أن يعنى شيئًا محدّدًا .

أخذ الرجل يفكّر مقطبًا حاجبيه ثم قال :

— أعتقد أنه قد تغيّب فى تلك الليلة .. نعم ، لقد تغيّب بالطبع .. تذكّرت الآن .. لقد ظلّت مائدته خالية ، حتى أن الجميع تنبّه لذلك .

ابتسمت (سلوى) لنفسها ، وقالت وهى تغادر الغرفة :

— كنت أتوقع ذلك بالتأكيد .

عند عودة (سلوى) إلى الحجرة المخصصة

لاجتماعات الفريق ، وجدت الجميع هناك ، فقالت وهى تغلق الباب وراءها :

— يبدو أننى آخر من يعود .

ابتسم لها الجميع ، فتوجّهت إلى مقعد مواجه للنقيب (نور) ، وجلست بهدوء ، فسألها (نور) :

— تُرى ، هل أثمرت جولتك يا (سلوى) ؟

قالت (سلوى) وعلى ثغرها ابتسامة :

— يحسن أن تطلق علىّ اسم (شرلوك هولمز) أيها القائد ، لقد حصلت على تأكيد للمعلومة التى أعطانا إياها الرائد (يحيى) .

ثم صمتت وهى توزّع نظراتها على رفاقها الثلاثة ، واستطردت تقول :

— لقد كان الدكتور (فتحى) متغيبًا بالفعل ، فى نفس اليوم الذى اختفى فيه الجهاز .

ابتسم (نور) وقال :

— لقد قمت بجولتى أنا أيضًا يا عزيزتى .. لقد كان

الدكتور (فتحى) أحد الذين قاموا بوضع تصميم هذا الجهاز ، والإشراف على تنفيذه . وليس من المنطقى أن يحاول سرقته .. فقد كان من الأيسر بالنسبة له بالذات أن يحصل على التصميمات الخاصة بالجهاز ، وهذا أكثر أمانًا بالطبع .

قطّبت (سلوى) حاجبيها ، كانت تشعر كأنها تلميذة فاشلة .. ضحك (نور) لمرآها ، ثم التفت إلى (رمزى) وقال :

ـ وأنت يا طبيبنا النفسى .. كيف كانت جولتك ؟

قال (رمزى) بتمهُّل :

ـ أعتقد أن جولتى كانت مثمرة جدًا ، وهذا يرجع بالطبع إلى أنى أمارس عملى الطبيعى ، ألا وهو الدراسة النفسية للأفراد .. ولقد لاحظت أن المجموعة التى تقيم بالطابق الأسفل تشعر بنوع من الاضطهاد ، أو فلنقل بنوع من التميُّز السلبى .. فهذه المجموعة بالذات هى المسئولة عن المراكز الحيويّة بالمدينة ؛ ولذلك فإنه من

الصعب على أى منهم الحصول على إجازة .. ثم إنهم يتبادلون العمل فيما بينهم ، أقصد بالطبع أفراد الغرفة الواحدة .. ولقد كان من حسن حظ النقيب (نور) أن يلتقى بهم جميعًا .. فاليوم استطعت مقابلة أربعة منهم فقط ، وقد كان الآخرون فى فترة راحتهم .. لقد التقيت بـ (فرج) ، و (خليل) ، والمهندس (مختار) ، والمهندس (أنور) ، وكان عمل المجموعة الغائبة موزّعًا على الآخرين .

أوقفه (نور) بإشارة من يده وسأله :

ـ هل تعنى أنه من الممكن أن يتواجد أحدهم بمفرده فى الغرفة الخاصة به ؟

قال (رمزى) :

ـ بالطبع ، فلقد كان المهندس (مختار) اليوم يقوم بالإشراف على كمبيوتر الدفاع ، بالإضافة إلى أجهزة الطوربيد النووى ، وكذلك المهندس (أنور) يتعامل مع المراقبة والرادار .. هكذا ..

قاطعه (نور) باهتمام :

— وفى تلك الليلة التى اختفى فيها الجهاز .. من منهم كان متغيبًا ؟

صمت (رمزى) وعلى وجهه علامات المفاجأة ، ثم تلعثم وهو يقول :

— فى الواقع لقد .. لقد ....

قال (نور) بجفاء :

— لقد فاتك أن تتحرّى عن ذلك .

قالت (سلوى) محاولة الدفاع عن (رمزى) :

— فى الحقيقة أيها القائد ، إننا لا نستطيع العمل كرجال شرطة ، فطبيعتنا علمية .

وجاءهم صوت من ناحية الباب يقول بسخرية :

— هذا ما أعتقده أيضًا يا صغيرتى .

التفت الجميع بدهشة إلى مصدر الصوت ، كان الرائد (يحيى) يقف بالباب ، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة .

قال (محمود) بتوتر :

— كيف استطعت الدخول إلى هنا ؟

أشار الرائد إلى مكعب أزرق مثبت بالباب ، وقال ولم تفارقه اللهجة الساخرة :

— لقد نسيتم إغلاق الرتاج الإليكترونى .. إنكم تثبتون دائمًا أنكم هواة .

أجابه النقيب (نور) بلهجة جافة :

— ليس الجميع هواة يا سيدى الرائد ..

التفت الرائد (يحيى) يتأمل النقيب (نور) بصمت ، ثم عادت الابتسامة الساخرة إلى شفتيه ، وقال :

— ربما ..

ثم همّ بمغادرة الغرفة وهو يقول :

— عليكم بالإسراع ، فقد اقتربت أنا من حل اللغز .

قطّب (نور) حاجبيه وكاد يسأله عما يعنى ،

ولكنه لسبب ما أغلق شفتيه ، واستمع إلى الرائد وهو يغلق الباب ويقول :

ــ بالطبع لم يلتفت أحدكم إلى وسيلة التخلُّص من الفضلات فى مدينة الأعماق .

ثم أطلق ضحكة ساخرة أخرسها انغلاق الباب ..

ظل الجميع صامتين حتى قال (محمود) :

ــ أعتقد أنه على حق .

أجابه (نور) بضيق :

ــ أبدًا .. لقد خطرت لى الفكرة ذاتها ، التخلُّص من الفضلات يتم عن طريق أنبوب فولاذى يمر بجميع طوابق المدينة ، وينقسم قسمين : قسم للفضلات المتخلِّفة عن الأطعمة وما يشابهها ، والآخر للمخلَّفات الصناعية ، وكلاهما ينتهى بما يشبه المطحنة ، تقوم بتحويل الفضلات أيًا كان نوعها إلى ذرَّات رفيعة ، يتم استخدامها فى تخصيب وتسميد الرقعة التى تجرى عليها اختبارات الزراعة تحت سطح البحر .. والأنبوب يمر

بغرفة واحدة من الغرف الأربعة بالطابق الأسفل ، وهى غرفة الهواء والضغط .

قال (محمود) باهتمام :

ــ هل يعنى هذا أن أيًا من العاملين بهذه الغرفة ، يستطيع التخلُّص مما يريد عن طريق هذا الأنبوب ؟

أجاب (نور) :

ــ بالطبع ، هذا لو كان ينوى التخلُّص منها نهائيًا ، فالمطحنة قوية جدًّا .

سألته (سلوى) :

ــ ألا يمكن أن يكون أحدهم قد تخلَّص من الجهاز بهذه الطريقة ؟

قال (نور) وهو يهزُّ رأسه علامة النفى :

ــ غير منطقى ، ما دامت تصميمات الجهاز موجودة ، والعلماء الذين قاموا بوضعها على قيد الحياة ، فلن يفيد تحطيم الجهاز .

ثم التفت إلى (محمود) وقال :

— لقد أوحت لى (سلوى) بفكرة يا عزيزى (محمود) .. بصفتك خبير بالأشعة ، ألا تعتقد أن جهازًا يطلق الأشعة فوق البنفسجية ، يستطيع أن يرشدنا إلى أثر خفىّ تركه المجرم ؟

صمت (محمود) قليلًا ثم قال :

— من المعروف أن الأشعة فوق البنفسجية تساعد على وضوح الآثار الضعيفة ، التى لا تستطيع العين المجرّدة ملاحظتها .. ولقد كانت تستخدم منذ الثمانينات فى القرن العشرين للبحث عن بصمات الأصابع فى أماكن السرقات .. نعم ، اعتقد أنها ستساعدنا .

قالت (سلوى) باهتمام :

— وما الذى أوحيته أنا إليك بخصوص هذه الفكرة أيها القائد ؟

ابتسم (نور) وقال :

— لقد أوحيت لى باستغلال طبيعتكم العلمية يا عزيزتى .

* * *

٥ — الصدمة ..

هبط (محمود) إلى الطابق الأسفل من مدينة الأعماق وهو يغالب توتره .. وما أن توقّف به الأنبوب الزجاجى أمام الطريق المتحرّك ، حتى توجه به إلى غرفة الاختبار ، وقف أمامها برهة يتأملها ، ثم فتح الحقيبة التى يحملها ، وأخرج منها مصباحًا بنفسجيًا صغيرًا ، وأخذ يعدّه للعمل وهو يفكر :

— لا بد أن الكثير من التغيير قد طرأ على الغرفة منذ حادث اختفاء الجهاز .. هل يمكن أن أجد أثرًا باقيًا من المجرم حتى الآن ؟

ثم أضاء المصباح بعد أن أطفأ الغرفة التى سبحت فى ضوء بنفسجى خافت .. أخذ (محمود) يتلفّت حوله باحثًا عن أثر واضح بها .. كانت بصمات الأصابع المختلفة تملأ الغرفة ، ولذا لم يعرها انتباهًا ، ثم فجأة وقع بصره على بقعة متألقة ، اقترب (محمود) من البقعة



ولم تكتمل أفكاره ، إذ أصابته لكمة قوية فى مؤخرة رأسه ..

وتأملها بدقة . كانت تتألق ببريق شديد عند سقوط حزمة الأشعة فوق البنفسجية فوقها ..

قطب (محمود) حاجبيه مفكرا ، وأخذ يستعيد كل ما حدث منذ قدومهم إلى مدينة الأعماق .. وفجأة رفع حاجبيه إلى أعلى ، وقد ومضت فى عينيـــه ومضات النصر .. إن هذه البقعة المتألقة دليل حاسم . لقد وقع المجرم ، لقد كشفته حفنة من الـ ....

ولم تكتمل أفكاره ، إذ أصابته لكمة قوية فى مؤخرة رأسه ، فترنح وشعر بعقله يسبح فى فراغ لا نهائى ، ثم سقط فاقد الوعى .. وقف الرجل الذى أفقده الوعى يتأمله ، وقال لنفسه :

ــ لقد كان من حسن الحظ أن حضرت فى تلك اللحظة .

ثم نظر إلى البقعة المتألقة وقال :

ــ ومن حسن الحظ أيضا أنه لم يتنبّه أحدهم إلى

هذا الدليل حتى الآن .. لا بد من مخُوك أيتها البقعة الخائنة .

وعاد ينظر إلى (محمود) الملقى على الأرض ، وقال :

ــ أما أنت أيها المتحرّى ، فلقد أصبحت تعرف السّر ، أصبحت حياتك تمثل نهايتى .

ثم دعك ذَقَنه براحته وقال :

ــ آسف يا صديقى ، لا بد من القضاء عليك .

وفى هذه اللحظة كان (نور) و (سلوى) بصحبة الدكتور (فتحى) والرائد (يحيى) ، وكان (نور) يقول موجهًا حديثه إلى الدكتور :

ــ حسبما تقول يا سيّدى ، فلقد كان بالطابق الأسفل فى ذلك اليوم (فرج) و (سلطان) والمهندس (مصطفى) والمهندس (أنور) .

قال الدكتور (فتحى) بضجر :

ــ هذا لا يعنى بالطبع أنهم وحدهم القادرون على

سرقة الجهاز ، فمن الممكن لأى من العاملين بالمدينة الهبوط إلى الطابق الأسفل .

قال (نور) وهو يلقى نظرة جانبية إلى الرائد (يحيى) :

ــ هذا غريب جدًا يا سيّدى .. لقد لاحظت فى كل مرة أهبط فيها إلى الطابق الأسفل أن الممر يكون خاليًا .. أليس هذا تقصيرًا فى إجراءات الأمن ؟

قطب الرائد (يحيى) حاجبيه وقال بلهجة عدائية :

ــ ليس من حاجة إلى وضع حراسة على هذا الطابق ، فمن المستحيل أن يسرق أحدهم جهازًا من غرفة الاختبار ، ويفرّ به من القاعدة .

قال (نور) بابتسامة وديّة :

ــ ولكن هذا قد حدث بالفعل .

أدار الرائد (يحيى) رأسه بغضب ، ولم يردّ على تعليق (نور) ، الذى التفت إلى الدكتور (فتحى) وسأله :

ـــ سبق أن أخبرتنى يا سيّدى أنه توجد أربع غرف فقط فى الطابق الأسفل ، ولكننى لاحظت بابًا معدنيًا مغلقًا باستمرار بجوار غرفة الاختبار .

قال الدكتور (فتحى) :

ـــ هذا الباب للضفادع البشرية فقط أيها النقيب .

سألته (سلوى) بدهشة :

ـــ ضفادع بشرية ، وهل يمكن لهم الغوص فى هذا العمق .. إن ضغط الماء كفيل بتحطيمهم .

ابتسم الرائد (يحيى) بشماتة وقال :

ـــ حُلَل الغطس الحديثة مجهّزة بمعادل للضغط أيتها الشابة .. فى الماضى كان أقصى عمق يستطيع الضفدع البشرى الوصول إليه هو أربعة عشر مترًا ، أما الآن وباستخدام هذه الأجهزة الحديثة ، أمكن الغوص إلى أعماق سحيقة .. وهذه معلومة علمية ربما تفيدك أيتها العاملة الصغيرة .

لاحظ (نور) الغضب البادى على وجه (سلوى) ، فأسرع يقول :

ـــ إذن فهذا الباب يستخدمه الضفادع البشرية فقط .

قال الدكتور (فتحى) وهو ينظر فى ساعته :

ـــ نعم ، أعتقد أن عليك أن تدعو رفاقك لمشاركتنا وجبة الغداء .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ ستذهب (سلوى) لتدعو (رمزى) ، فهو يقوم بفحص الملفات النفسية للعاملين هنا .. أما أنا فسأهبط إلى الطابق الأسفل لأدعو (محمود) ، الذى يقوم فى هذه اللحظة بفحص غرفة الاختبار بالأشعة فوق البنفسجية .

قطّب الدكتور (فتحى) حاجبيه وقال :

ـــ فكرة رائعة ، كيف لم أفكر فى ذلك ؟ سأصحبك إلى هناك .

قال الرائد (يحيى) وهو يشعر بالغيرة :

ـــ وأنا أيضًا .

أفاق (محمود) من غيبوبته على صوت هدير خافت ، يشبه إلى درجة ما هدير شلال بعيد ، وسرعان ما استجمع قواه ، وشعر فى هذه اللحظة بالبلل ، ونظر حوله فأصابه الفزع .. كان فى غرفة معدنية واسعة ، وفى نهايتها باب معدنى يفتح بهدوء ، والماء يتدفق منه إلى داخل الغرفة .. قام (محمود) واقفًا وقد تملكه الذعر .. كان مذاق الماء واضحًا . إنه ماء البحر .. تلفت حوله بحثًا عن مخرج ؛ ولكنه لم يجد سوى باب معدنى آخر فى الجهة المقابلة ، أخذ يدق عليه بعنف والماء يرتفع بسرعة حتى بلغ فخذيه .. ولمّا لم يجد فائدة من الدق على الباب استند إليه بظهره ، ونظر بعينين وجلتين إلى الماء المتدفق .. وعاد إلى ذهنه مشهد قديم ، مشهد طفل صغير يصرخ مستنجدًا ، والأمواج تتلاعب به حتى اختفى بينها ، وعلى الشاطئ طفل آخر يبكى بفزع .. مرّ هذا المشهد بذهنه فى لمحة خاطفة ، ثم تسمّر فى مكانه ، امتلأت عيناه بذهول عجيب .

*

هبط النقيب (نور) بصحبة الدكتور (فتحى) والرائد (يحيى) إلى غرفة الاختبار .. ولمّا لم يجدوا (محمود) بها قال (نور) :

— يبدو أن (محمود) قد انتهى من عمله بسرعة وعاد إلى الغرفة .

قال الدكتور (فتحى) بتحسّر :

— خسارة ، كنت أود مشاهدة البحث بالأشعة فوق البنفسجية .

عاد الجميع عبر الممر ، عندما أشار (نور) إلى غرفة الغطس ، وقال :

— هذه إذن غرفة الضفادع البشرية .

أومأ الدكتور (فتحى) برأسه علامة الإيجاب .

فأشار (نور) إلى مصباح أحمر بأعلى باب الغرفة ، وقال :

— وما معنى هذا المصباح ؟

قال الدكتور (فتحى) وهو يرفع رأسه إلى المصباح المضاء :

ـ إنه يعني أن الغرفة شاغرة .

ثم توقف بغتة ، وقال :

ـ ولكن ، لا توجد مهمات البتة للضفادع البشرية اليوم .

التفت إليه (نور) بدهشة ، ثم عاد ينظر إلى المصباح المضاء وصرخ :

ـ يا إلهي !! (محمود) .

ثم اندفع يحاول فتح باب الغرفة عندما أمسك به الرائد صارخًا :

ـ توقف .. ينبغي معرفة منسوب الماء بداخل الغرفة ، وإلا غرقت المدينة بأكملها .

تراجع (نور) إلى الخلف ، وهو ينظر إلى الباب بفزع .. كان يوقن أن (محمود) بداخل الغرفة ، وكان يعرف عقدته النفسية تجاه ماء البحر ، وسرعان ما صرخ :

ـ مَن المسئول عن هذه الغرفة ؟ مَنْ هو بالله عليكم ؟

أسرع الجميع إلى الممر عند سماعهم صوت صياح (نور) ، وسرعان ما تقدم (خليل) من الباب وقال :

ـ أنا المسئول ، الماء يملأ نصف الغرفة ، والباب مفتوح ، ينبغي إغلاق الباب أولاً .

صاح فيه (نور) :

ـ أسرع .. أسرع .

وفي نفس اللحظة كان (رمزى) و (سلوى) قد وصلا إلى الطابق الأسفل ، لمتابعة عمل جهاز الأشعة فوق البنفسجية ، عندما فوجئا بصياح (نور) ، فاندفع (رمزى) نحوه وسأله :

ـ ماذا حدث ؟

صاح (نور) بتوتر :

ـ (محمود) ! (محمود) بالداخل ، ستغرقه المياه .

اتسعت حدقتا (رمزى) وقال بفزع :

ـ المياه !! .. يا للمسكين !!

قال (خليل) وهو يتنهّد :

ـ لقد أغلقت الباب ، ويتم الآن سحب المياه .. بعد دقيقة واحدة سيكون رفيقكم بخير .

قال (رمزى) بأسى :

ـ أتعشّم ذلك .

كان أحد الحاضرين متوترًا ، كان يعلم أن بقاء (محمود) على قيد الحياة يعنى دماره ، ولكنه سمع (رمزى) يقول:

ـ إنه مصاب بعقدة نفسية راسخة ، إنه يخشى البحر بصورة مرضية .

وسرعان ما انفتح الباب ، وهال الجميع ما رأوا ..

كان (محمود) يقف أمامهم ، وقد دلت ملامحه على ذهول شديد .. أسرع (رمزى) نحوه وفحصه بسرعة ، وقال :

ـ إنه بخير ولكنه مصاب بصدمة عصبية عنيفة.

ابتسم أحد الحاضرين براحة ، وهو يشاهد الرفاق يرحلون بصحبة (محمود) ، الذى كان يسير فى ذهول ، وقد فقد القدرة على النطق .

* * *

٦ ــ استجواب المتهمين ..

عندما خرج (رمزى) من غرفة (محمود) ، كان الجميع فى انتظاره ، وقالت (سلوى) بلهفة :

ــ كيف حاله ؟ .. هل هو بخير ؟

أومأ (رمزى) برأسه ، وقال :

ــ نعم ، ولكنه مصاب بصدمة عصبيّة شديدة ، ولقد أعطيته بعض المهدئات ، وسيكون بخير قريبًا .

كان (نور) يشعربالاشمئزاز كلما رأى عملاً يدل على العنف أو التدمير ، فقال بلهجة حادّة :

ــ الويل لهذا المجرم منّى !!

ربّت الدكتور (فتحى) على كتفه مهدئًا ، وقال :

ــ الويل له منا جميعًا يا صديقى .

التفت (نور) إلى (رمزى) وسأله :

ــ ألم يخبرك بشىء يا (رمزى) ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا يستطيع أن يتحدّث الآن ، ربما بعد أن يستيقظ .

ضرب (نور) قبضته اليمنى بكفّه الأيسر ، وقال :

ــ لا بد أنه قد كشف شيئًا ، دليلاً هامًا .. آه لو يخبرنى به !!

قال الرائد (يحيى) بلهجة لم يستطع كتم رنّة السخرية فيها ، برغم توتّر الموقف :

ــ هذا ما يحدث دائمًا عند استخدام هواة .

التفت إليه الجميع بغضب ، وقال له (نور) ببرود :

ــ لقد تحوّلت القضية بفضلك إلى صراع بيننا أيها الرائد ، ولن أسمح بهذا .

قطّب الرائد حاجبيه ، وصاح بغضب :

ــ هل نسيت رتبتك أيها النقيب ؟.. هل تجرؤ على ؟.....

قاطعه (نور) بلهجة حازمة :

— إننى أتبع القائد الأعلى مباشرة أيها الرائد ، ولقد اختارنى لمعرفته أننى الشخص الذى يحتاج إليه فى هذه المهمة دون النظر إلى رتبتى ، ولو كان عندك اعتراض على ذلك يمكنك إرسال شكوى مباشرة إليه .

احتقن وجه الرائد (يحيى) ، وبان الغضب فى ملامحه ، ثم غادر الغرفة فى صمت ، والتفت (نور) إلى (سلوى) وقال لها بهدوء :

— عندى مهمة تحتاج إلى خبيرة فى الاتصالات والتتبُّع ..

ابتسمت (سلوى) وقالت :

— رهن إشارتك أيها القائد .

بعد ساعة واحدة من هذا الحوار كان (نور) يهبط إلى الطابق الأسفل ، ويتوجّه إلى غرفة الإمداد .. وهناك قابل (سلطان) ، المسئول عن تنظيم إمداد المدينة بالهواء النقى .. فحيّاه (سلطان) بلا مبالاة ، وسأله (نور) :

— هل تذكر من كان يقوم بالعمل هنا فى اليوم الذى اختفى فيه الجهاز ؟

قال (سلطان) وهو يتظاهر بالانشغال فى عمل وهمى :

— أنا و (فرج) .

تابع (نور) أسئلته قائلاً :

— هل غادر أحدكم الغرفة وحده ؟

أجاب (سلطان) باقتضاب :

— كلانا .

سأله (نور) بهدوء :

— هل تغيّب زميلك فترة طويلة ؟

وجاءه صوت من خلفه يقول :

— ولماذا لا توجّه سؤالك لزميله شخصيًا ؟

التفت (نور) إلى مصدر الصوت .. كان (فرج) يقف بباب الغرفة عاقدًا ساعديه ، وسأله (نور) ببرود :

— حسنًا ، وهل تغيّبت فترة طويلة ؟

ابتسم (فرج) ، وقال :

— ليس بالقدر الكافى لسرقة الجهاز أيها النقيب .

كانت عيناه تنطقان بالتحدى ، فقام (نور) واقفًا ، ومرّ بجوار (فرج) متجهًا إلى خارج الغرفة ، فأوقفه هذا وقال :

— إلى أين أيها النقيب ؟

قال (نور) وهو ينظر فى عينى (فرج) :

— لا حاجة لى بالبقاء ، لقد حصلت على الإجابة التى تلزمنى .

وخرج (نور) مندفعًا ، فاصطدم برجل كاد يقع من المفاجأة ، وابتسم الرجل عندما تبيّن شخصية (نور) ، وقال :

— مرحبًا أيها النقيب ، أما زلت تواصل تحرياتك ؟

أجاب (نور) بابتسامة مماثلة :

— كنت ذاهبًا لزيارتك يا عزيزى المهندس (مصطفى) .

وضع (مصطفى) يده على كتف (نور) وقال :

— مرحبًا ، كنت ذاهبًا لتسلّم نوبتجيتى من المهندس (مختار) .

دخلا سويًا إلى غرفة الدفاع ، واستقبلهما المهندس (مختار) بالتحية ، ثم جلس (نور) وسأل (مصطفى) :

— لقد كنت وحدك هنا فى اليوم الذى اختفى فيه الجهاز .. أليس كذلك ؟

أجاب (مصطفى) ببساطة :

— نعم .. كنت أفحص الطوربيدات النووية .

سأله (نور) :

— وهل من عادتك فحصها ؟

أجاب (مصطفى) بابتسامة :

— بالطبع ، إنها تفحص دوريًا كل خمسة أيام للتأكد من صلاحيتها .

سأل (نور) بهدوء :

— ألم تغادر الغرفة مطلقا فى ذلك اليوم ؟

قال (مصطفى) وهو يجلس إلى مقعد مجاور :

— من الصعب مغادرة غرفة الدفاع ، فهى مركز حيوىّ للغاية ، لا أستطيع مغادرتها إلا حين حضور المهندس (مختار) لتسلّم نوبتجيته .

التفت (نور) إلى (مختار) وسأله :

— هل تعتقد أن الكمبيوتر يستطيع القيام بالدفاع بدون الحاجة إليكما ؟

قطّب (مختار) حاجبيه ، وقال :

— إلى درجة محدودة بالطبع .

فسأله (نور) باهتمام :

— ماذا تعنى بدرجة محدودة ؟

قال (مختار) :

— لا بد من العنصر البشرى للتمييز ، لقد ساعد الكمبيوتر على اختصار عدد العاملين فى مجال الدفاع إلى فردين فقط ، ولكن هذا لا ينفى أهمية وجود العنصر

البشرى ، وإلا أطلق الطوربيدات على أى هدف يتحرك .

سأله (نور) سؤالا أخيرا :

— هل حضرت فى موعد نوبتجيتك بالضبط ؟

ضحك (مصطفى) وقال :

— إنه يحضر فى موعده تماما ، لا تستطيع قوة فى الأرض أن تجبره على الحضور قبل موعد النوبتجية ولو بدقيقة واحدة .

ابتسم (نور) لدعابة (مصطفى) ، ثم استأذن منهما ، وغادر الغرفة متوجّها إلى غرفة المراقبة ، وقبل أن يدخلها شاهد الرائد (يحيى) خارجا .. تبادلا النظرات فى صمت ، ثم ابتسم الرائد تلك الابتسامة الساخرة ، واتجه إلى المصعد الزجاجى .. أخذ (نور) يراقبه حتى صعد فى الأنبوب الزجاجى ، ثم دخل إلى حجرة المراقبة ..

كان المهندس (عبد المنعم) يهم بارتداء سترته

الخاصة . وقد جلس المهندس (أنور) إلى مائدة فى منتصف الغرفة ، وقد دفن وجهه فى كفيه .. ألقى إليهم (نور) التحية . فرفع (أنور) وجهه بسرعة .. كان محتقنا ، ولكنه نجح فى الابتسام وهو يردّ تحية (نور) ، الذى جلس بجواره وسأله :

ــ هل ضايقك الرائد باستجوابه ؟

تردّد المهندس (أنور) برهة ، ثم قال :

ــ نعم ، أرجو ألا تكون قادما لاستجواب آخر .

ابتسم (نور) دون أن يجيب ، والتفت إلى المهندس (عبد المنعم) وسأله :

ــ لقد كنت فى راحة عندما سرق الجهاز .. أليس كذلك ؟

حدّق فيه (عبد المنعم) وسأله :

ــ ماذا تعنى ؟

قال (نور) بهدوء :

ــ أعنى أن المهندس (أنور) كان هنا وحده .

نظر (عبد المنعم) إلى (أنور) ، ثم عاد ينظر إلى (نور) ، وظهر التردد واضحا على قسماته ، حتى باغته (نور) بالسؤال :

ــ هل وجدت المهندس (أنور) هنا عندما حضرت لتسلّم نوبته ؟

كان (عبد المنعم) قد انتهى من ارتداء سترته ، فأسرع نحو باب الغرفة ، وهو يقول :

ــ لقد انتهت نوبتى ، ولست مضطرًا للإجابة عن هذا السؤال .

هبّ (نور) واقفا وقد أمسك ذراع (عبد المنعم) بقوة ، وقال له بحزم :

ــ بل أنت مضطر لإجابتى أيها المهندس ، وإلا أجبرتك على الإجابة أمام القضاء .

توقف (عبد المنعم) متردّدا ، ثم نظر إلى (أنور) الذى قال :

ــ حسنًا ، لم أكن هنا عندما حضر (عبد المنعم) يومها ، ولكننى أقسم لك ....



هبَّ (نور) واقفًا ، وقد أمسك بذراع (عبد المنعم) بقوة ..

قاطعه (نور) :

ـ أين كنت إذن ؟

قال (عبد المنعم) بعد لحظة من التردد :

ـ فى دورة المياه .

حدَّق (نور) فى عينيه وقد ساد الصمت ، ثم ترك ذراع (عبد المنعم) ، وقال :

ـ ليس من المفروض أن تترك غرفة المراقبة أبدًا .. سأعمل على مجازاتك من أجل ذلك ..

ثم غادر الغرفة دون أن يترك لأحدهما فرصة للكلام ، ووجد أمامه فى الممر الرائد (يحيى) .. بهت (نور) من المفاجأة ، وسأله :

ـ ألم تغادر الطابق ؟

ابتسم الرائد وقال :

ـ من السهل خداعك أيها النقيب .. لقد صعدت طابقًا واحدًا ثم عدت .. كان لا بد أن أستمع إلى حديثك مع المهندس (أنور) ، لقد أفادنى جدًا .

قال (نور) بغضب :

ـــ لا أستطيع استساغة هذا الأسلوب الملتوى .

قال الرائد والابتسامة لم تغادر شفتيه :

ـــ لم يطلب منك أحد استساغته أيها النقيب .

قال (نور) محاولاً إنهاء هذا الصراع :

ـــ لم لا نتعاون سويًا للوصول إلى حل مقبول لهذا اللغز ؟

ابتسم الرائد ساخرًا ، وقال :

ـــ لماذا ؟ .. لقد توصلت تقريبًا إلى الحل ، وعندى الدليل .

ثم استدار وغادر الممر عبر المصعد الزجاجى .. شعر (نور) بالضيق ، وهز رأسه متعجبًا ، ثم غادر الطابق بدوره .. وعندما وصل إلى غرفة الاجتماعات الخاصة بفريقه ، شاهد (سلوى) منهمكة فى صنع جهاز دقيق ، وقد كان (رمزى) جالسًا أمام كمبيوتر صغير .. التفتا إليه فحياهما ، وسأل (سلوى) :

ـــ هل انتهى الجهاز الذى طلبته يا (سلوى) ؟

أجابت دون أن ترفع عينيها عن الجهاز :

ـــ كاد ينتهى ..

ثم تنهدت وسألته :

ـــ لماذا لا تخبرنى بالغرض منه أيها القائد ؟

ابتسم (نور) ، فقد كان يعرف جيدًا أن الفضول ينهشها ، ولكنه لم يجبها ، وإنما التفت إلى (رمزى) وسأله :

ـــ هل انتهيت من دراسة التقارير النفسية يا طبيبنا ؟

قال (رمزى) ، وقد ظهر الإجهاد واضحًا على وجهه وفى نبراته :

ـــ هذا أمر شاق أيها القائد .. فالعاملون هنا يبلغ عددهم حوالى ثلاثة آلاف رجل .. ليس من السهل أن أقوم بدراسة كل هذه التقارير .

قال (نور) وهو يشيح بيده :

ـــ دعك منها ، أريدك أن تدرس التقارير النفسية

للعاملين السبعة بالطابق الأسفل فقط ، بالإضافة إلى تقرير الدكتور (فتحي) والرائد (يحيى) .

ثم رقّ صوته ، وهو يسأل :

ـ كيف حال (محمود) اليوم ؟

قال (رمزى) بصوت حزين :

ـ لا يزال فاقد النطق ذاهل النظرات .. ولكنه سيتحسّن قريبًا جدًا بإذن الله .

هزّ (نور) رأسه بأسى ، وقال :

ـ المسكين .. لقد طلب الرحيل ، ولكنني أجبرته على البقاء هنا ..

ثم التفت إلى (رمزى) وقال :

ـ سنثأر له يا (رمزى) .. أقسم لك .

* * *

٧ ـ فى أعماق البحر ..

أخذ الدكتور (فتحى) يتطلّع إلى النقيب (نور) بصمت ، محاولًا أن يستشف ما يدور برأسه من أفكار ، ثم سأله بهدوء :

ـ أنت إذن تريد غواصة نووية صغيرة ، أيمكن أن أعرف السبب ؟ أم أن هذا من أسراركم ؟

قال (نور) وهو يشعر بالحرج :

ـ أتمنّى ألا تصرّ على ذلك يا سيّدى .

قال الدكتور (فتحى) بضجر :

ـ ومتى تحتاج إليها بالضبط ؟

أجابه (نور) بلهجة مهذّبة :

ـ ربما غدًا يا سيّدى .

دقّ الدكتور (فتحى) بقبضته على المكتب وهو يقول بغضب :

ـ ربما غدًا !!

ثم أشار إلى (نور) وقال :

ــ ألا تعلم أيها النقيب أن مدينة الأعماق تسير وفق مخطط دقيق ؟ .. وأن غواصاتنا كلها مشغولة دائمًا بالمهام المختلفة .. هل تظن أننا نستطيع إعطاءك غواصة نووية ، هكذا فى أى وقت تشاء ؟

قال (نور) بهدوء مهذب :

ــ لديك سبع غواصات احتياطية يا سيدى ..

صمت الدكتور (فتحى) فجأة ، وأخذ يرمق (نور) بغضب ، ثم قال :

ــ حسنا ، ستكون هناك غواصة نووية صغيرة بانتظارك غدًا منذ الصباح الباكر .

شكره (نور) واستأذنه فى الانصراف ، وقبل أن يغادر الغرفة سمعه يقول :

ــ يبدو أن تسرُّب الأسرار أصبح معتادا فى هذه المدينة .

ابتسم (نور) وهو يغلق باب الغرفة خلفه ، واتجه

مباشرة إلى الغرفة المخصصة للفريق .. حيَّاه (رمزى) عند دخوله الغرفة فسأله (نور) :

ــ أين (سلوى) ؟ .. هل انتهت من إعداد الجهاز الذى طلبته منها ؟

قال (رمزى) وهو يبتسم :

ــ بالنسبة للجزء الأول من السؤال فهى تطمئن على (محمود) ، أما بالنسبة للجزء الثانى فالإجابة هى نعم .

جلس (نور) إلى مقعد قريب ، وقال :

ــ ألم يطرأ تحسُّن على حالة (محمود) ؟

قال (رمزى) بلهجة متفائلة :

ــ بالطبع ، بدأ فى التحسُّن ، وسيستطيع التحدُّث إلينا مساء اليوم ، أو الغد على أسوأ تقدير .

تنهَّد (نور) بارتياح ، ثم قال :

ــ هل استطاع أن يخبرك بما وجده فى غرفة الاختبار ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا ، ليس بعد .

عاد (نور) يسأله :

ــ وأنت ؟ ماذا فعلت بالنسبة للتحليل النفسى ؟

قال (رمزى) وهو يحك رأسه :

ــ لا أستطيع الجزم بشخصية السارق ، ولكننى أستطيع الجزم بمن يستحيل قيامه بمثل هذا العمل .

قال (نور) باهتمام :

ــ هذا مفيد جدًا بالطبع ، من منهم لا يمكن أن يرتكب هذا الفعل ؟

قال (رمزى) وهو يلتقط ورقة بجواره :

ــ الدكتور (فتحى) ، الرائد (يحيى) ، المهندس (عبد المنعم) ، (سلطان) .. هؤلاء لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يفعلوا ذلك .

ضمّ (نور) كفّيه أسفل ذقنه مفكرًا ، ثم سأل (رمزى) :

ــ هل أنت واثق من ذلك ؟

قال (رمزى) بثقة :

ــ تمام الثقة .

سأله (نور) :

ــ والآخرون ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ــ شخصيات عادية ، التحليل النفسى لهم متعادل ، يمكن لأى منهم أن يرتكب الحادث ، كما يمكن ألّا يفعل ، المهم هو وجود الدافع .

قام (نور) واقفا واتجه إلى (رمزى) ، ووضع يده على كتفه ، وقال بابتسامة عريضة :

ــ لقد أصبحت أعشق الطب النفسى يا عزيزى .. ها قد اختصر العدد إلى خمسة أشخاص فقط بدلًا من تسعة .. سأحاول جاهدًا إقناع رجال النيابة والقضاء بالاعتماد على التحليل النفسى فى القضايا المستعصية .. أعدك بذلك .



ثم اتجهت إلى صوان بركن الغرفة ، فأخرجت منه جهازًا صغيرًا ..

فى هذه اللحظة عادت (سلوى) إلى الحجرة ، فألقت التحية إلى (نور) و (رمزى) ، ثم توجهت إلى (نور) بحديثها :

ــ لقد انتهيت من صنع الجهاز أيها القائد ..

ثم اتجهت إلى صوان بركن الغرفة ، فأخرجت منه جهازًا صغيرًا ، واقتربت به من (نور) وقالت :

ــ كما طلبت تمامًا ، هذا الجهاز معدّ للبحث عن الأجسام المعدنية تحت سطح البحر ، بخلاف الصخور بالطبع ، وهو يشبه فى عمله هذا جهاز (السونار) الذى تستخدمه البواخر فى تحديد عمق الماء .. فهو يطلق موجات خاصة عندما تصطدم بالأرض تعود إلى الجهاز ، وبحساب الوقت الذى استغرقته الموجة منذ إطلاقها حتى انعكاسها يمكن تحديد العمق .. هذا فى (السونار) ، ولكن هذا الجهاز معدّ بطريقة أخرى ، فهو يطلق موجات تمتصها الصخور وتعكسها الأجسام المعدنية الأخرى .

ثم أشارت إلى شاشة صغيرة خضراء فى جانب الجهاز ، وقالت :

— وهو مجهز بحيث يصنع رسمًا تقريبيًا للجسم المعدنى الذى يجده .. رسمًا تخطيطيًا بالطبع .. وإذا كان الجسم ذا نشاط إشعاعى يضىء هذا المصباح الأحمر الصغير ، مطلقًا أزيزًا متقطعًا .

وضعت (سلوى) الجهاز جانبًا ، وسألت (نور) بلهجة مشبّعة بالفضول :

— ألا تنوى إخبارى بالسبب الذى تحتاج إلى هذا الجهاز من أجله .

ثم قطّبت حاجبيها وقالت :

— هل تعتقد أنك ستجد الجهاز المختفى فى قاع البحر أيها القائد ؟

ابتسم (نور) بمرح ، وقال :

— ستعلمين قريبًا يا (سلوى) ، قريبًا جدًا .

ثم التفت إلى (رمزى) وقال :

— ستصحبنى غدًا فى رحلة بحرية كما اعتدنا يا صديقى .

فى الصباح الباكر كانت الغواصة النووية بانتظار (نور) ورفيقه ، وسرعان ما استقلاها ، وانطلقت بهما فى أعماق البحر .. أخذ (نور) يعدّ الجهاز للعمل عندما سأله (رمزى) :

— هل تعتقد حقًا أنك ستعثر على الجهاز فى البحر أيها القائد ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— إننى أبحث عن جسم أسطوانى ضخم ، يزن أكثر من مائتى كيلوجرام يا عزيزى (رمزى) .

رفع (رمزى) حاجبيه مندهشًا وسأل :

— ماذا يعنى ذلك ؟

قال (نور) وهو يراقب الجهاز باهتمام :

— سيتضح كل شىء قريبًا يا عزيزى ، عليك بالصبر .

فى نفس اللحظة كانت (سلوى) تجول فى مدينة الأعماق ، وهى تفكر :

ـ لماذا يرفض (نور) إخبارى بالغرض من الجهاز .. ربما يظن أن الجهاز موجود فى قاع البحر .. فهمت ، إنه يخشى أن تكون نظريته غير صحيحة ؛ ولذلك يجعلها سرًا حتى لا نسخر منه إبان فشلها .. ولكن ليس هذا من طباع (نور) ، ولا بد أنه ....

وأفاقت من أفكارها عندما اصطدمت بشاب يسير مسرعًا .. اعتذر الشاب ، ثم قال بودّ :

ـ أنت المهندسة (سلوى) ، من فريق النقيب (نور) ، أليس كذلك ؟

ابتسمت له (سلوى) عندما تعرّفت شخصيته ، وقالت :

ـ بلى .. وأنت المهندس (مصطفى) .

ضحك (مصطفى) وقال :

لم أتصوّر أن شهرتى وصلت إلى اليابسة ..

سألته (سلوى) :

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

أجاب (مصطفى) بابتسامة :

ـ للحصول على إجازة ، تمنَّ لى التوفيق ..

وقبل أن يتركها عاد يسألها باهتمام :

ـ كيف حال رفيقكم المصاب ؟

ابتسمت (سلوى) ، وقالت بتفاؤل :

ـ سيتحسَّن بإذن الله ، شكرًا لسؤالك .

وتركها (مصطفى) بعد أن حيَّاها ، واتجهت هى إلى غرفة الدكتور (فتحى) .. وقبل أن تدقّ الباب سمعت حوارًا يدور بين الدكتور والرائد (يحيى) .. لم يكن من اللياقة أن تستمع إلى حوار لا يخصها ، ولكن كلمة واحدة طرقت مسامعها جعلتها تنتبه .. لقد ذكر اسم (نور) ، فأنصتت إلى باقى الحوار .. كان الرائد يقول :

— من منهم يجيد الغطس ؟

أجابه الدكتور (فتحى) بعد تفكير :

— لقد كان (فرج) من رجال الضفادع البشرية .. كذلك المهندس (مختار) .. أما المهندس (أنور) فهو يهوى الغطس فى الأعماق منذ حداثته .

عاد الرائد يسأله :

— هل أخبرت النقيب (نور) بهذه المعلومات ؟

قال الدكتور (فتحى) :

— إنه لم يسألنى عن ذلك أبدًا ..

قال الرائد برنّة فخر :

— حسنًا ، أريد الاجتماع بالرجال الذين كانوا يمارسون العمل فى الطابق الأسفل ، فى الليلة التى اختفى فيها الجهاز ، أريد الاجتماع بهم الليلة ، وليحضر النقيب (نور) ورفاقه هذا الاجتماع .

سأله الدكتور (فتحى) باهتمام :

— هل توصّلت إلى حل اللغز ؟

كان الفخر واضحًا فى نبرات الرائد عندما قال :

— سأقوم بكشف كل شىء هذا المساء ..

أسرعت (سلوى) تغادر مركزها عائدة إلى غرفة الفريق .. شعرت بالحنق ، إذن فسيقوم الرائد (يحيى) بحل اللغز هذا المساء ، وسيفعل ذلك بالطبع بأكبر قدر من التعالى والفخار .. ولكن لتفعل مثل (نور) ، لتفكر بطريقته المثالية ، إنها واثقة أنه سيكون أول من يهنئ الرائد (يحيى) إذا توصّل إلى اللغز ..

وفجأة وصل إلى مسامعها صوت ارتطام بغرفة (محمود) .. تملّكها القلق وأسرعت إلى الغرفة ، وفتحت بابها .. وقبل أن تشعل الضوء شعرت برجل يهاجمها فى الظلام .. صرخت (سلوى) صرخة مدوّية ، فدفعها الرجل إلى السرير الذى يرقد فيه (محمود) ، ثم اندفع مغادرًا الغرفة .. تأوه (محمود) ، وقال دون أن يفتح عينيه :

— الجرم .. البقعة المتألقة .. البحر ..

ثم غاب عن الوعى مرة ثانية .. كانت (سلوى) متسمرة من الفزع ، ولكنها أفاقت بسرعة على صدى كلمات (محمود) ، واتجهت إليه تهزه بقوة ، وتقول :

ــ أخبرنى يا (محمود) .. من المجرم ؟ لقد حاول قتلك مرة ثانية .. أخبرنى يا (محمود) ، لقد حاول قتلى أنا أيضًا ..

ثم انهارت باكية ..

كانت الغواصة النووية تشق طريقها فى أعماق البحر ، فى حركة دائرية حول مدينة الأعماق ، تتسع مع كل دورة ، وبداخلها كان (رمزى) يقول للنقيب (نور) :

ــ لقد مرت ثلاث ساعات منذ بداية البحث يا (نور) ، وهذا هو ثانى شىء نجده ، وأنت تصرّ على أنه ليس ما تبحث عنه ..

قال (نور) وهو يشير إلى الجهاز الذى صنعته (سلوى) :

ــ إن الذى أبحث عنه لا يضىء هذا المصباح الأحمر الصغير يا (رمزى) ، ولا يطلق هذا الأزيز المتقطع .

قال (رمزى) :

ــ ولكنك لا تبحث عن الجهاز المختفى أيها القائد ، ولكننا نبحث عن ....

أشار إليه (نور) بالتوقف عن الحديث عندما أضاءت الشاشة الخضراء بالجهاز ، ثم سرعان ما تكوّنت عليها صورة لجسم أسطوانى ضخم .. ترقّب (نور) المصباح ، ولكنه لم يضىء هذه المرّة ، ولم يطلق الأزيز المتقطِّع .

صاح (نور) صيحة انتصار ، وقال :

ــ هذا هو ما نبحث عنه .. أطلب من قائد الغواصة أن يحدّد إحداثيات هذا المكان ، ثم يعود بنا إلى مدينة الأعماق .. سأطلب عقد اجتماع هذا المساء .

* * *

٨ ـ تحليل الرائد يحيى ..

عند عودة (نور) و (رمزى) إلى مدينة الأعماق ، وجدا (سلوى) تنتظرهما والقلق يبدو واضحا على قسمات وجهها .. سألها (نور) بقلق مماثل :

ـ (سلوى) .. ماذا حدث ؟

سالت دمعة من عين (سلوى) ، وهي تقول :

ـ لقد حاول المجرم التخلص من (محمود) مرة ثانية .

سألها (رمزى) بلهفة :

ـ وماذا فعل ؟

قالت (سلوى) وهى تجفف دموعها بكفيها :

ـ لقد دخلت إلى الحجرة قبل أن يفعل شيئا .. كانت الحجرة مظلمة ، فلم أتبين ملامحه ، ولكنه دفعنى وهرب .. ولقد قال (محمود) ....

قاطعها (نور) مندهشا :

ـ (محمود) !! هل تحدّث ؟

هزّت (سلوى) رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ ثلاث كلمات فقط ، ثم غاب عن الوعى مرة ثانية .

كانت اللهفة تملأ صوت (نور) ، وهو يسألها :

ـ ماذا قال ؟ .. ماذا قال بالضبط ؟

تمتمت (سلوى) بصوت مرتجف :

ـ المجرم .. البقعة المتألقة .. البحر .

رفع (نور) رأسه مفكرًا ، ثم قال :

ـ هذا يتّفق مع توقُّعاتى .

ثم نظر إلى (سلوى) ، وقال :

ـ سأطلب عقد اجتماع هذا المساء ، يحضره الدكتور (فتحى) والرائد (يحيى) ، والرجال الأربعة الذين كانوا يعملون يوم اختفاء الجهاز .

رفعت (سلوى) رأسها إليه بدهشة ، وقالت :

ــ ولكن .. لقد طلب الرائد (يحيى) من الدكتور (فتحى) نفس الشيء .

سألها (نور) باهتمام :

ــ ماذا تعنين ؟

أجابت (سلوى) والدهشة لم تفارقها بعد :

ــ طلب منه أن يعقد اجتماعًا يحضره الرجال الأربعة ونحن أيضًا .. ليكشف فيه السرّ .

فغر (رمزى) فمه دهشة ، وقد ابتسم (نور) وقال :

ــ حسنًا .. دعنا نرَ ما عنده .

وفى مساء اليوم نفسه ، فى قاعة صغيرة بالطابق الثانى من مدينة الأعماق ، جلس (نور) و (رمزى) و (سلوى) فى المقاعد الأمامية ، وقد جلس خلفهم (فرج) و(سلطان) والمهندس (مصطفى) والمهندس (أنور) .

كان الرجال الأربعة متوترين جدًا ، يتساءلون : لِمَ

لمْ يتم استدعاء باقى العاملين بالطابق الأسفل ؟

ودخل إلى القاعة الدكتور (فتحى) وبصحبته الرائد (يحيى) .. ووقف هذا الأخير أمام الجالسين يتأملهم بابتسامة واثقة ، ثم ألقى نظرة ساخرة إلى (نور) ورفاقه .. فمالت (سلوى) على أذن (نور) ، وقالت :

ــ ألا تخبرنى بما تعرف حتى تهدأ أعصابى ؟ إن هذا الرجل يثير ضيقى بأسلوبه هذا .

ابتسم (نور) وهو يهمس لها :

ــ صبرًا يا عزيزتى ! . دعينا نستمع إليه .

بدأ الدكتور (فتحى) الحديث ، فقال :

ــ مرحبًا بالجميع .. لقد طلب الرائد (يحيى) منى أن أدعوكم جميعًا للاجتماع سويًا .. وهو يؤكد أنه قد توصَّل إلى حل اللغز : سر اختفاء الجهاز .. وسأترك له دفة الحوار .

ابتسم الرائد (يحيى) بفخر وثقة ، وظهرت نظرة شامتة فى عينيه ، عندما نظر إلى (نور) و (رمزى) ،

و (سلوى) ، ثم تنحنح وبدأ الحديث قائلاً :

ــ برغم ما يبدو من غموض فى هذا الحادث ، إلَّا أنه واضح لمن يتمتع بقدر ــ ولو ضئيل ــ من القدرة على التحليل والاستنتاج .

ثم رمق (نور) بنظرة ساخرة ، وأكمل :

ــ يقتصر الأمر على اختفاء جهاز يزن مائة كيلوجرام ، من حجرة مفتوحة دائمًا فى الطابق الأسفل ، وإخراجه بوسيلة أو بأخرى من المدينة ، بدون المرور على نقطة المراقبة .. وهنا نجد أن أمامنا لغزين : كيف يمكن حمل جهاز بهذا الوزن ؟ وكيف يمكن إخراجه ؟ وكان من الواضح أن السارق أحد العاملين بالطابق الأسفل ، وهم أكثر العاملين بالمدينة قدرة على التجوُّل بحرِّية فى هذا الطابق .. ولذا قسمت اللغز قسمين : أولًا : حمل الجهاز ، بعد أن تأكدت أن العاملين بالطابق فى هذا اليوم أربعة فقط : (فرج) و (سلطان) والمهندس (مصطفى) والمهندس

(أنور) ، وبعد تأكدى من وجود الآخرين فى غرفة الطعام . فى نفس اللحظة كان علىَّ البحث عمَّن يستطيع منهم حمل الجهاز .. كان أمامى اثنان يملكان القوة العضلية التى تمكِّنهما من حمله : (فرج) ، والمهندس (أنور) ، فأولهما يدعوه رفاقه (هرقل) ، لقوته غير العادية ، والآخر كان بطلًا فى حمل الأثقال .

احتقن وجه المهندس (أنور) ، وقد ابتسم (فرج) ابتسامة ساخرة . وتابع الرائد (يحيى) :

ــ ثانيًا : كان ينبغى لى التفكير فى كيف تم إخراج الجهاز ؟ كان المخرج الوحيد فى المدينة ، بخلاف المخرج الأساسى ، هو غرفة الغطس التى يستخدمها رجال الضفادع البشرية .. ولمَّا كان كلاهما يجيد الغطس والسباحة تحت الماء ، فقد كان علىَّ أن أفكر : أيهما يملك الوقت الكافى لحمل الجهاز ونقله إلى غرفة الغطس ، ثم السباحة به إلى مكان بعيد والعودة بدون أن يشعر أحد بغيابه ؟ ولمَّا كان (فرج) يعمل فى

تلك الليلة مع (سلطان) ، فقد كان من الصعب عليه أن يتغيّب كل هذا الوقت ، بدون أن يترك فراغا يثير الشك فى نفس (سلطان) .. وهكذا أصبح واضحًا أن المجرم هو ....

والتفت الجميع إلى حيث أشار الرائد (يحيى) ، إلى المهندس (أنور) ، الذى وقف يرتجف ، وقد ظهر الفزع واضحا فى قسماته ، وصاح بصوت ضعيف :

ــ لست أنا .. أقسم لك .

صرخ الرائد (يحيى) وهو يشير إليه :

ــ إننى ألقى القبض عليك ، بتهمة سرقة جهاز علمى ، وتهريبه إلى خارج مدينة الأعماق .

هوى المهندس (أنور) على مقعده ، وقد عجزت ساقاه عن حمله ، وهو يتمتم بفزع :

ــ لست أنا ، أقسم لك .. أقسم لكم جميعًا .

رفع الرائد (يحيى) رأسه مزهوًا ، والتفت ينظر إلى (نور) بشماتة ، فقال له هذا بصوت هادئ أثار دهشة (سلوى) و (رمزى) :

ــ تحليل رائع أيها الرائد .. أهنئك .

* * *

٩ ــ كشف اللغز ..

نظرت (سلوى) فى دهشة إلى (نور) ، عندما هنأ الرائد (يحيى) لوصوله إلى حل اللغز قبله .. وتابعت بحنق هذا الأخير وهو يتوجه بخطوات ثابتة ، ليلقى القبض على المهندس (أنور) ، عندما قال (نور) بنفس الصوت الهادئ :

ــ ولكن هذا التحليل ينقصه الكثير أيها الرائد .

توقف الرائد بغتة ، ثم التفت إلى (نور) بحدة ، وقال :

ــ وهل عندك تحليل أكثر منطقية أيها المغرور ؟

ابتسم (نور) ، وقال بهدوء وثقة :

ــ بالطبع .

رفع المهندس (أنور) رأسه بدهشة ، وقد أحيت عبارة (نور) الأمل فى قلبه ، وتابع (نور) قائلاً :

ــ لقد بنيت استنتاجك على عدة نقاط خاطئة .

وهذا يقودك بالطبع إلى نتيجة غير صحيحة .. أما نحن كفريق فنعمل بأسلوب مختلف .

ابتسم الرائد ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ وما هذا الأسلوب أيها العبقرى الصغير ؟

تجاهل (نور) العبارة الساخرة ، وأكمل :

ــ نحن نعمل بالأسلوب العلمى الذى لا يعتمد على الاستنتاج وحده ، إنما يتحقّق من ذلك بالنتائج والأبحاث .. وفى هذا اللغز بالذات كان يجب العمل بأسلوب عكسى ، بمعنى أننى لم أبحث عمّن يمكن أن يفعل ذلك ، بل بحثت أولاً عن كيفية إخراج الجهاز من المدينة .. ولقد توصّلت إلى أن الجهاز ظل هنا فى المدينة إلى ثلاثة أيام مضت .

صاح الرائد (يحيى) بلهجة انتصار :

ــ خطأ .. لقد فتشنا القاعدة شبرًا شبرًا ، ولم نعثر له على أثر .. من منّا إذن بنى استنتاجه على نقاط خاطئة ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ قلت لك : إننا نعمل بأسلوب علمى ، ولم أكن لأتهم بريئًا دون أن تتجمّع الأدلّة كلها ف يدى .

صمت الرائد (يحيى) عند سماعه هذه العبارة الأخيرة واستطرد (نور) :

ـ لقد بنيت استنتاجك على أن المخرج الوحيد للمدينة ـ باستثناء المخرج الأساسى ـ هو غرفة الغطس فقط ، ولكننى أخالفك ف ذلك .. كما أننى أخالفك فى أن الرجل الذى حمل الجهاز يحتاج إلى عضلات قوية ليفعل ذلك .. وأخالفك مرة أخرى ف أنه يجب أن يجيد الغطس .. ثم إن حمل جهاز يزن مائة كيلوجرام والسباحة به تحت الماء وعلى هذا العمق أمر مستحيل ؛ لأن ضغط الماء من أعلى إلى أسفل سيزيد من وزن الجهاز إلى درجة كبيرة ، مما تستحيل معه السباحة بهذا الثقل البالغ .. إلا إذا حصلنا على قوّة دفع مناسبة تكفى لدفع الجهاز برغم وزنه إلى مسافة

بعيدة ، وهذه القوة لا تتوافر ف الطابق الأسفل إلا ف ....

ثم صاح وهو يشير إلى رجل يحاول الفرار :

ـ أوقفوا المجرم .

قفز (فرج) من مقعده ، واندفع خلف الرجل .. وسرعان ما أمسك بعنقه ، وأعاده عنوة إلى الغرفة ، وهو يقول بلهجة ساخرة :

ـ إذن فهو أنت .. يا للخسارة !! أتحمى المدينة أم تسرقها ؟

وقف الرائد (يحيى) مبهوتًا ، وقد علت وجهه صفرة بالغة .. كانت محاولة الفرار من قبل الرجل اعتراف صريح بفعلته ، واعتراف آخر بخطأ الاستنتاج الذى قام به ، وبرغم ذلك قال بصوت متحشرج :

ـ كيف .. كيف توصّلت إليه ؟

ابتسم (نور) وسط الدهشة التى لم يفق منها الآخرون ، وقال :



فقفز (فرج) من مقعده ، واندفع خلف الرجل وسرعان ما أمسك بعنقه ، وأعاده عنوة إلى الغرفة ..

ــ كانت الأدلة كلها تشير إليه .. مَن الذى يستطيع إخراج الجهاز وإبعاده إلى درجة كافية ؟ ثم الغوص لإحضاره بعد أن تهدأ الأمور ؟ المهندس (مصطفى) بالطبع .

جلس الرائد (يحيى) على مقعده ، ودفن وجهه بين كفيه صامتًا ، وقد استطرد (نور) :

ــ لقد دبَّر الأمر بعناية بالغة .. فى اليوم الذى كان وحده فى غرفة الدفاع ، مطمئنًا إلى موعد قدوم زميله المهندس (مختار) ، الذى يحضر دائمًا فى موعده بالضبط .. قام بفك أحد الطوربيدات النووية ، وأفرغ الشحنة المتفجِّرة فى صندوق رصاص لمنع تسرب الإشعاع الذرِّى ، ثم انتظر لحظة يخلو فيها الممر ، واتجه إلى غرفة الاختبار .. لقد أخبرنى الدكتور (فتحى) أن الجهاز مكوَّن من ثلاثة مكعبات .. ولما كان (مصطفى) مهندسًا ذكيًا ، فقد قام بفك الجهاز إلى ثلاث قطع ، ثم نقل كل قطعة وحدها إلى غرفته ،

وضعها فى المكان المخصص للشحنة المتفجِّرة بالطوربيد ، وأعاد إغلاقه .. لقد أخبرنى المهندس (مختار) ، أنه كثيرًا ما يتم التعامل مع أى هدف مثير للشك باعتبار أنه هجوم ، وبالطبع تطلق عليه الطوربيدات النووية .. كما أخبرنى أيضًا أنه كثيرًا ما تسقط هذه الطوربيدات بدون أن تنفجر ؛ ولذلك كان من الطبيعى أن يعتبر هذا الطوربيد المحتوى على الجهاز أحد الطوربيدات التى لم تنفجر .. كل ما عليه عندئذ أن يحدد إحداثيات سقوط الطوربيد بدقة ، ثم يذهب لاستعادته عندما يحصل على إجازته .. ولكنه عندما ذهب لنقل الجهاز كانت بعض المواد المشعَّة عالقة فى حذائه ، فتركت أثرًا على أرضية غرفة الاختبار .. وعندما ذهب زميلنا (محمود) لفحص الغرفة بالأشعة فوق البنفسجية ، تألقت المواد المشعة عند سقوط الأشعة فوقها، وتنبَّه (محمود) فى الحال إلى طبيعة هذه البقعة المتألقة ، وكان لا بد أن يتجه ذهنه

إلى الشخص الوحيد الذى يعمل فى مواد ذات طبيعة إشعاعية فى الطابق الأسفل ، وليس هذا الشخص سوى المهندس (مصطفى) .

صمت (نور) قليلًا ليبتلع ريقه ، وساد الصمت الغرفة حتى عاد (نور) يكمل :

ـ ولكن هذا الوغد حاول التخلُّص من (محمود) بوضعه فى غرفة الغطس .. ولما كان المسكين مصابًا بعقدة نفسية من البحر ، فقد أصابه ذهول أفقده النطق برغم إنقاذنا له .. ولكنه نجح اليوم فى إخبارنا بأمر البقعة المتألقة .. ولقد حاول المجرم التخلُّص منه مرة ثانية اليوم ، عندما أخبرته (سلوى) أنه يتماثل للشفاء ، لولا تدخُّل زميلتنا العزيزة .

ألقى (نور) إلى (سلوى) نظرة تقدير ، فخفضت وجهها خجلًا ، فابتسم وتابع :

ـ ولما كنا كما أخبرتكم نعمل بأسلوب علمى ، فإن الطريقة الوحيدة لإثبات هذا الأمر ، كانت تتلخص فى

العثور على الطوربيد ، الذى يرقد سليمًا فى قاع البحر ، ولا يحتوى على مواد ذات طبيعة إشعاعية .. ولقد نجحنا بمساعدة جهاز صنعته زميلتنا العبقرية فى العثور على الطوربيد الذى يمثل دليل الاتهام .

عادت (سلوى) تخفض وجهها الذى احمر خجلًا ، وقد قام الرائد واقفًا واتجه بخطوات متخاذلة إلى المهندس (مصطفى) ، الذى وقف منكسًا رأسه ذليلًا ، وقال وهو يضع يده فوق كتفه :

ــ أيها المجرم .. إننى ألقى القبض عليك بتهمة سرقة جهاز علمى من مدينة الأعماق وتهريبه خارجها .

* * *

٩ ــ الختام ..

سأل (محمود) النقيب (نور) باهتمام :

ــ وما الذى دفع المهندس (مصطفى) إلى سرقة الجهاز ؟

أجاب (نور) وهو يتناول قطعة من السمك الذى أعدته (سلوى) :

ــ بريق الذهب يا صديقى .. إنه يعمى الضمائر الضعيفة فى كل العصور .. فبحصوله على هذا الجهاز يصبح أغنى أغنياء العالم .. هكذا صوّر له عقله المريض .

قالت (سلوى) :

ــ بل هكذا دمّره الجشع .

أمسك (محمود) بكفّ (نور) ، وقال بامتنان :

ــ لقد أنقذت حياتى أيها القائد .. كيف أشكرك ؟

تخضّب وجه (نور) خجلًا وقال :

ـ لا عليك .. توجَّه بالشكر إلى (رمزى) ، فقد أنقذ عقلك .

التفت (محمود) إلى (رمزى) ، وقال بابتسامة شكر :

ـ فعلًا .. لقد عالجنى من حالة الذهول ، والأهم أنه أنقذنى من عقدة البحر .. إنك عبقرى يا عزيزى الطبيب النفسى .

ابتسم (رمزى) ، وقال وهو يشد على يد (محمود) :

ـ لقد كان أمرًا بسيطًا يا عزيزى .. يقولون فى الأمثال : « إذا عرف السبب بطل العجب » ، وهذا ينطبق تمامًا على الطب النفسى .. كان علىَّ أن أصل إلى السبب الذى أصابك بعقدة البحر ، ولقد أخبرنى والدك به .. لقد غرق أخوك الأكبر ـ رحمه الله ـ أمام عينيك ، عندما كنت أنت فى عامك الأول .. وظل يستنجد بك ولم تستطع أنت أن تفعل

سوى الصراخ والبكاء .. لقد انطبع هذا المشهد فى عقلك الباطن ، ثم رفض عقلك الواعى أن يتذكَّره ، ولكن هذا لم يمنع من اختزانه فى العقل الباطن ، الذى يمثل قيدًا يمنعك دائمًا من الغوص فى البحر أو حتى السباحة .. وكان علىَّ أن أقنعك أنك لم تكن لتستطيع مساعدة أخيك ، فلقد كنت تتعلَّم المشى ، فما بالك بالعوم وإنقاذ الغرق ؟

قالت (سلوى) وهى تقدِّم لـ (محمود) طبقًا من السمك :

ـ دائمًا يتحدث (رمزى) بعبارات معقَّدة ، ودائمًا يمنعكم من تذوُّق الوجبات التى أعدها لكم بعناية .

ضحك الجميع ، وقال (نور) موجهًا حديثه إلى (رمزى) :

ـ لا تنس أنك مكلَّف تعليم (محمود) السباحة والغوص منذ الصباح الباكر .

ضحك (رمزى) ، وصاح مداعبًا :

ـــ كان هذا خطئي أن أشفيه من عقدته ، لأعلمه السباحة والغوص .

ضحك الجميع ، والتفت (نور) إلى (سلوى) وقال :

ـــ ستستمتعين أخيرًا بإجازة جميلة ، بصحبة النقيب (نور) يا عزيزتي (سلوى) وبلا متاعب .

قطَّبت (سلوى) حاجبيها ، وابتسمت بخبث قائلة :

ـــ من يدرى ؟

(تمت بحمد الله)